موقف ابن عقيل من الصوفية

تأليف

الدكتور محمد بن أحمد الجوير





ح محمد أحمد الجوير ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجوير ، محمد أحمد

موقف ابن عقيل من الصوفية / محمد أحمد الجوير - الرياض ، ١٤٣٠هـ

٠٠ ص ٠٠ سم

ردمك : ٢ -٣٠٦٨-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- التصوف الإسلامي ٢- الفقه الصوفي أ- العنوان

ديوي : ٢٦٨ ١٤٣٠/٤٩١٢

رقم الإيداع : ١٤٣٠/٤٩١٢

ردمك : ٢ -٣٠٦٨-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م

دار الصميعي للنشر والتوزيع /
المملكة العربية السعودية

الرياض ص. ب : ٤٩٦٧

الرمز البريدي ١١٤١٢

المركز الرئيسي : الرياض- السويدي -
شارع السويدي العام

هاتف : ٤٢٦٢٩٤٥ - ٤٢٥١٤٥٩ ،

فاكس : ٤٢٤٥٣٤١

فرع القصيم : عنيزة - بجوار مؤسسة الشيخ
ابن عثيمين الخيرية

هاتف: ٣٦٢٤٤٢٨ تلفاكس : ٣٦٢١٧٢٨

الموزع في المنطقة الغربية والجنوبية
/ جوال ٠٥٠٩٧٧١٥٦٨

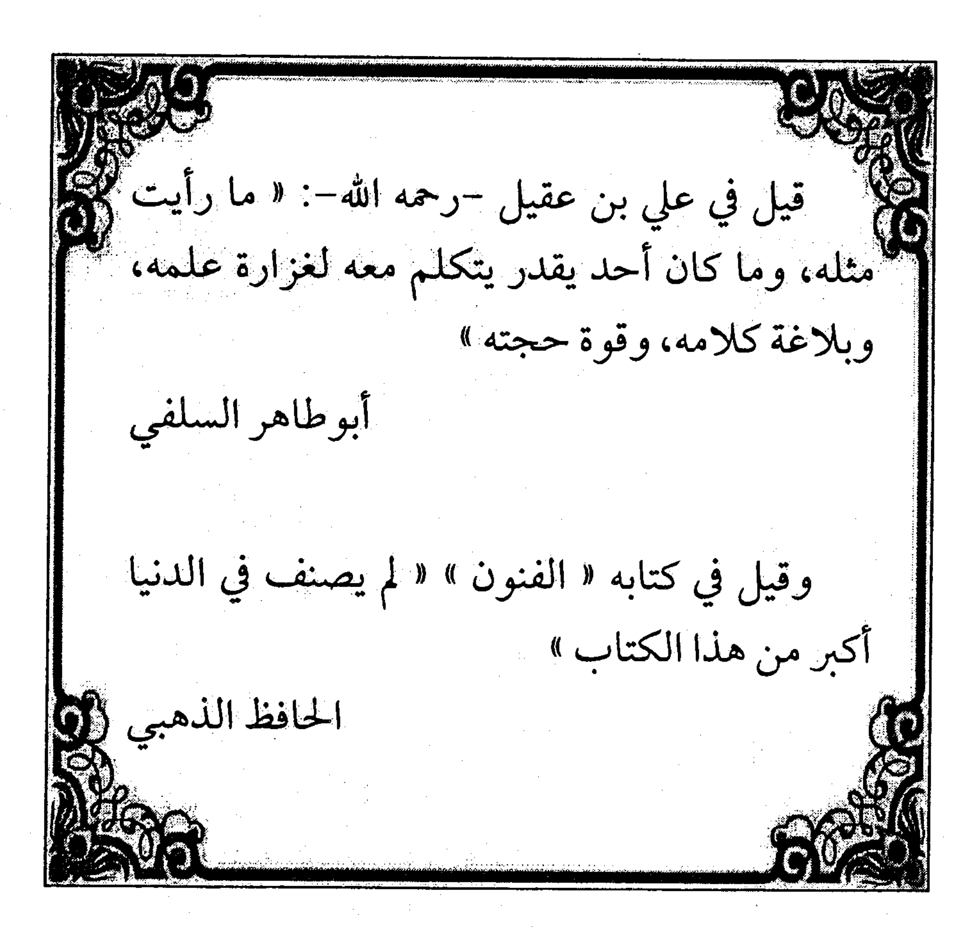
مدير التسويق ٠٥٥٥١٦٩٠٥١

البريد الالكتروني :
daralsomaie@hotmail.com





بسم الله الرحمن الرحيم



قيل في علي بن عقيل -رحمه الله-: « ما رأيت مثله، وما كان أحد يقدر يتكلم معه لغزارة علمه، وبلاغة كلامه، وقوة حجته »

أبو طاهر السلفي

وقيل في كتابه « الفنون » « لم يصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب »

الحافظ الذهبي



مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المتقين وسيد المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد،،،

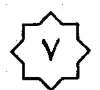
قال الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[1].

وقال المصطفى الكريم ﷺ محذراً من مغبة الوقوع في شراك الغلو وما يفضي إليه من الهلاك والشقاء: « إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين »[2].

---

(١) سورة النور، من الآية (٥٥).

(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ٢١٥، ٣٤٧)، والحديث صححه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٨٩).



أخي القارئ الكريم أقدم بين يديك مؤلفًا صغيرًا في حجمه كبيرًا في مضمونه ومحتواه. فأثناء قيامي بضروريات البحث والتنقيب للموضوع الذي تقدمت به للحصول على درجة الدكتوراه وفي أثناء تقليبي لأمهات الكتب والمراجع لتتبع جهود ومواقف العلماء في القرن السادس الهجري السلفية منهم، وغير السلفية للرد على المبتدعة الصوفية؛ لفت نظري كوكب مضيء، وعالم جهبذ، وقف بلسانه يجاهد وينافح عن عقيدتنا السماوية وشريعتنا الربانية، وقف سدًا منيعًا وصار سهمًا مسمومًا في وجه الصوفية المبتدعة. كيف لا؟! وهو الذي عاش فترة من سنيات عمره تائهًا في غياهب علم الكلام، يعترف بذلك!، حتى أراد الله له الهداية، فخلع ثوب الضلال وركب سفينة النجاة، وأعلن توبته المشهورة والمكتوبة للملأ، تبرأ فيها من مذهبه الاعتزالي، ومن أولئك الضُّلاَّل الكفرة الذين كان يدافع عنهم حتى عرف الحق، وتبرأ منهم، وأدار الدائرة عليهم؛ فصبَّ جام غضبه لله ولدينه عليهم امتاز بشجاعة الكلمة والصدع بالحق لا تأخذه في ذلك لومة لائم.

إنه العالم الكبير (أبو الوفاء ابن عقيل) -رحمه الله- صاحب كتاب (الفنون) المشهور الذي قال عنه ابن العماد في شذرات الذهب أنه يزيد على أربعمائة مجلد.

نقل عنه الكثير من علمائنا، وجعلوه حجة لهم في استدلالاتهم

في الرد على الخصوم كتلميذه ابن الجوزي في تلبيس إبليس، والذهبي في السير، وابن تيمية في الفتاوى وغيرها، وابن رجب في جامع العلوم والحكم، وابن مفلح في الآداب الشرعية، وغيرهم كثير.

ولا ريب؛ فإن هذا العلم يحمله من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الضالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

وحسب علمي واطلاعي المحدودين؛ لم أجد من أفرد هذا العالم الجهبذ في كتاب مخصوص، لا سيما لبيان مواقفه الصلبة من الصوفية المبتدعة والتي تكتب بماء الذهب، فهذا العالم الكبير وتلميذه ابن الجوزي[1] يعتبران من ألدَّ أعداء الصوفية في القرن السادس الهجري وجهودهما ومواقفهما لا تخفى على طالب علم مطلع على تراث علمائنا.

وقد عشت مع هذين العالمين الجليلين قرابة خمس سنوات، واطلعت على جميع مواقفهما من أهل البدع وخصوصًا الصوفية في كثير من المراجع والمصادر، وقد أعجبت بهما أيما إعجاب، مما دفعني إلى

---

(١) يوجد رسالة ماجستير بعنوان (موقف ابن الجوزي من الصوفية) للأخ علي المقوشي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

إفراد عالمنا الجليل (ابن عقيل) في مؤلف أحسب أنه سيكون بداية الانطلاقة لموضوع كبير يسجل في إحدى جامعاتنا لنيل إحدى الدرجات العلمية الرفيعة، وقد جعلت له عنوانًا يحمل اسم « موقف ابن عقيل من الصوفية ».

تناولت فيه المسائل التالية:

المبحث الأول: ترجمة ابن عقيل وتشتمل على:

١ـ اسمه ونسبه.

٢ـ مولده.

٣ـ شيوخه.

٤ـ تلاميذه.

٥ـ مؤلفاته.

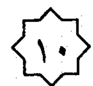
٦ـ عقيدته وثناء العلماء عليه.

٧ـ وفاته.

المبحث الثاني: التعريف بالصوفية ونشأتها ومراحل تطورها، ويشتمل على:

١ـ التعريف بالصوفية وسبب التسمية.

٢ـ نشأة الصوفية ومراحل تطورها.



المبحث الثالث: مواقف ابن عقيل من الصوفية في المسائل التالية.

١ـ مصادر التلقي والاستدلال.

٢ـ الطهارة وأماكن العبادة.

٣ـ الدعاء.

٤ـ دعوى إسقاط التكاليف.

٥ـ دعوى الولاية والكرامة.

٦ـ دعوى ترك الزواج زهدًا.

٧ـ التوكل.

٨ـ المحبة.

٩ـ السماع.

١٠ـ الرموز والغموض.

وقد نهجت في تناول هذا الموضوع منهجًا مختصرًا يقوم على عرض شبهة الصوفية في المسألة الواحدة بضرب مثال أو مثالين من أقوال الصوفية فيها وذلك من كتبهم المعتبرة؛ ثم أعقب ذلك ببيان مواقف ابن عقيل منها وقد وثقت ذلك من المراجع والمصادر المعتبرة. بعد أن اجتهدت في تحصيلها وحصرها لتقوم الحجة على القوم.

ـ الخاتمة.

ـ فهرس الموضوعات.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الصوفية عند أئمة السلف طائفة إسلامية منهم المصيب والمخطئ الظالم لنفسه؛ وقد نبه إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في الفتاوى[1]، ولكن مواقف ابن عقيل التي نحن بصدد بيانها؛ هي على الجهلة والغلاة والظلمة منهم.

أرجو أن أكون قد وفقت في إعطاء هذا الموضوع حقه مع الاعتذار للقارئ الكريم عما عساه أن يقع من زلة أو هفوة أو تقصير؛ إذ الكمال لله تعالى وحده وهو المستعان والهادي إلى سواء السبيل.

ومما ينبغي الإشارة إليه، أن أصل هذا الموضوع هو كتابي [التوثيق والتحصيل لردود ابن عقيل على الصوفية] في طبعته الأولى؛ فلما نفذت، وعزمت على طباعته مرة أخرى؛ رأيت القيام بتنقيحه؛ بإضافة معلومات جديرة بالاهتمام؛ مما اضطررت إلى إجراء تعديلات رأيت أهميتها، وتبعًا لذلك رأيت من المناسب أن يكون عنوان الكتاب هو: [**موقف ابن عقيل من الصوفية**] ليكون العنوان دالاً على المضمون.

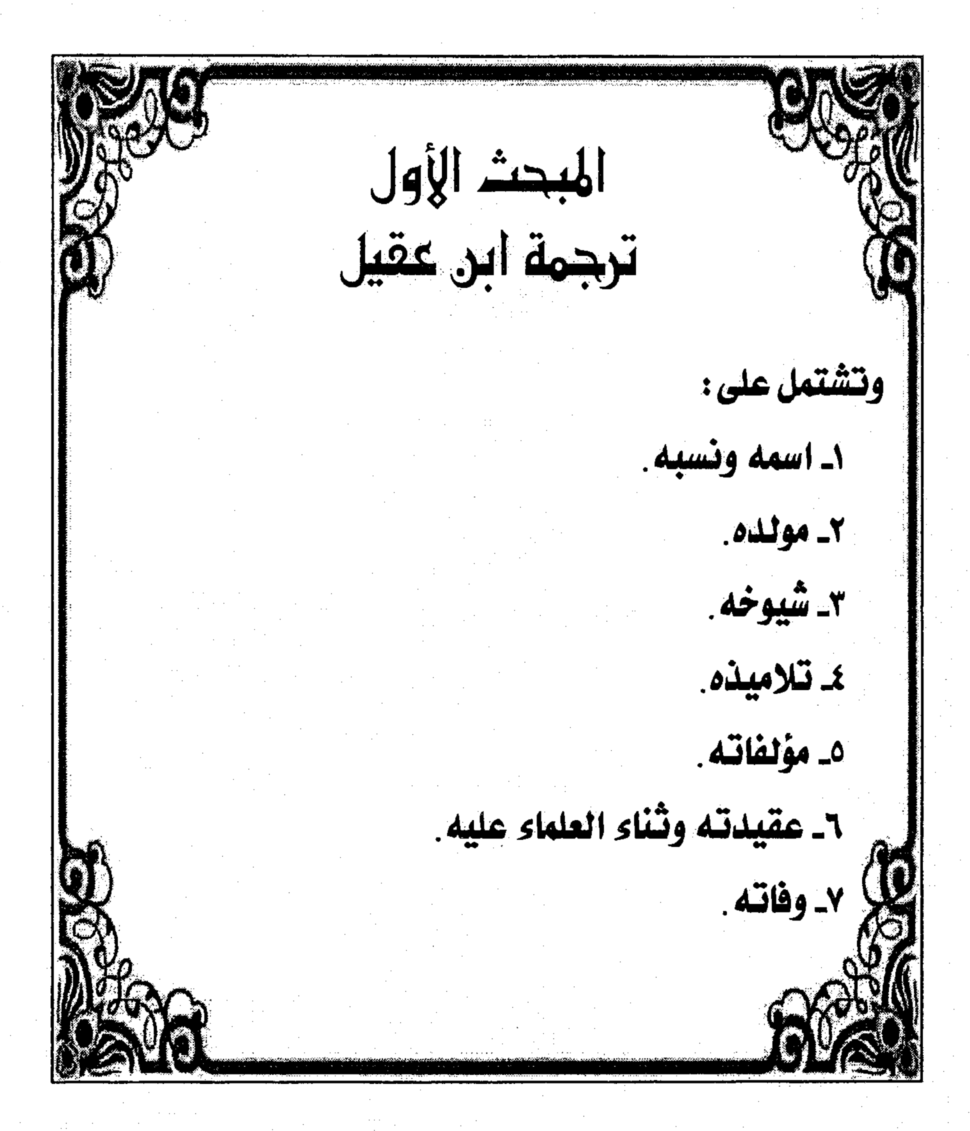
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحث

د. محمد بن أحمد الجوير

---

(١) انظر: الفتاوى لابن تيمية (١١/ ١٧، ١٨).



المبحث الأول
ترجمة ابن عقيل

وتشتمل على:

١ـ اسمه ونسبه.

٢ـ مولده.

٣ـ شيوخه.

٤ـ تلاميذه.

٥ـ مؤلفاته.

٦ـ عقيدته وثناء العلماء عليه.

٧ـ وفاته.



المبحث الأول
ترجمة ابن عقيل

١ـ اسمه ونسبه:

أبوالوفاء، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أحمد البغدادي الظفري الحنبلي[١].

٢ـ مولده:

وُلد ببغداد سنة ٤٣١هـ[٢].

٣ـ شيوخه:

توفي والد ابن عقيل وهو صغيرًا، فاضطر إلى العمل بنسخ الكتب ليعول نفسه، فتفرغ لطلب العلم، وأخذ العلوم عن كثير من مشايخ بغداد وعلمائها في وقته، فقد أخذ الفقه عن القاضي أبي يعلى، وعلوم القرآن عن ابن شيطا وأبي إسحاق الخراز، وأخذ الحديث عن

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (٣/ ١١٨).

(٢) الذيل (٣/ ١١٨)، والبداية والنهاية (١٢/ ١٨٤)، والمنتظم (١٧/ ١٧٩)، ومعجم المؤلفين (٢/ ٤٧٧).

أبي الحسين بن النوري، وأبي بكر بن بشران، وأخذ علم الفرائض عن عبدالملك الهمداني، وأخذ الوعظ ولزهد والتصوف عن أبي بكر الدينوري وأبي الحسن القزويني وأبي منصور العطار وأبي إسحاق الشيرازي، وأخذ الأدب والنحو عن أبي القاسم بن برهان، وأخذ الشعر والترسل عن ابن الفضل وابن شبل وغيرهم"[1].

٤ـ تلاميذه:

تتلمذ على يد ابن عقيل -رحمه الله- عدد من أهل العلم: منهم أبوحفص المغازلي، وأبوبكر السمعاني، وأبوالمعمر الأنصاري، ومحمد ابن أبي بكر السنجي، وأبوطاهر السِّلَفي، وأبوالبركات الحنبلي، وأبوالفضل خطيب الموصل، والحافظ بن ناصر، وغيرهم"[2].

٥ـ مؤلفاته:

لقد كان ابن عقيل غزير الإنتاج الفكري، فقد صنّف كتاب الفنون وغيره، الذي يعد من أكبر تصانيفه بشهادة أقوال العلماء:

---

(١) انظر في ذلك ترجمته في شذرات الذهب (٤/ ٣٥)، ومرآة الجنان (٣/ ٢٠٤)، والبداية والنهاية (١٢/ ١٨٤)، وسير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٤٣)، وبقية كتب التراجم.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٤٦).

قال ابن رجب: « وأكبر تصانيفه "الفنون" وهو كتاب كبير جدًا، فيه فوائد كثيرة جليلة في الوعظ والتفسير والفقه والأصلين والنحو واللغة والشعر والتاريخ والحكايات، وفيه مناظراته ومجالسه التي وقعت له، وخواطره ونتائج فكره قيدها فيه »[1].

وقال ابن العماد: « شيخ الحنابلة وصاحب التصانيف، ومؤلف كتاب الفنون الذي يزيد على أربعمائة مجلد »[2].

وقال -رحمه الله- أيضاً: « كان -رحمه الله تعالى- بارعًا في الفقه وأصوله، له في ذلك استنباطات عظيمة حسنة وتحريرات كثيرة مستحسنة، وله تصانيف كثيرة في أنواع العلم، وأكبر تصانيفه كتاب "الفنون" وهو كبير جدًا، فيه فوائد عظيمة جليلة في الوعظ والتفسير والفقه والأصلين والنحو واللغة والشعر والتاريخ والحكايات، وفيه مناظرات ومجالسه التي وقعت له وخواطره ونتائج فكره قيّدها فيه»[3].

ومن مؤلفاته أيضًا: تفضيل العبادات على نعيم الجنات، وكتاب الفصول في فروع الفقه الحنبلي، وكتاب الانتصار لأهل الحديث،

---

(١) الذيل على الطبقات (٣/ ١٢٩).

(٢) شذرات الذهب (٤/ ٣٥).

(٣) شذرات الذهب (٤/ ٣٧-٣٨).

وكتاب الواضح في أصول الفقه وغيرها[1].

٦ـ عقيدته وثناء العلماء عليه:

لقد حظي ابن عقيل -رحمه الله- بمكانة علمية رفيعة، وكان له نصيب وافر من الثناء عليه من علماء الإسلام المؤرخين وغيرهم.

فقد قال عنه ابن تغري بردي: « كان إمامًا صالحًا مفتنًا »[2].

وأثنى عليه الذهبي ثناءً عطرًا، فقال: « أحد الأعلام، وفرد زمانه علمًا ونقلاً وذكاءً وتفننًا...، إلا أنه خالف السلف ووافق المعتزلة في عدة بدع، نسأل الله السلامة »[3].

وقال ابن كثير في حقه: « كان يجتمع بجميع العلماء من كل مذهب، فربما لامه أصحابه، فلا يولي عليهم، فلهذا برز على أقرانه، وساد أهل زمانه في فنون كثيرة مع صيانة وديانة وحسن صورة وكثرة اشتغال »[4].

---

(١) انظر: معجم المؤلفين، عمر كحالة (٢/ ٤٧٧).

(٢) النجوم الزاهرة (٥/ ٢١٩).

(٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي - دار الفكر (٣/ ١٤٦). وهذه المخالفة قبل أن يعلن -رحمه الله- توبته ويعود إلى مذهب أهل السنة والجماعة كما سيأتي في الجزء الخاص عن عقيدته والله أعلم.

(٤) البداية والنهاية (١٢/ ١٨٤).

وقال عنه ابن العماد الحنبلي: « كان إمامًا مبرزًا، كثير العلوم، خارق الذكاء، مكبًّا على الاشتغال والتصنيف عديم النظر »[1].

وقال عنه السلفي: « ما رأت عيناي مثل الشيخ أبوالوفاء بن عقيل، ما كان أحد يقدر أن يتكلم معه لغزارة علمه، وبلاغة كلامه، وقوة حجته »[2].

وقال الذهبي: « كان يتوقد ذكاءً، وكان بحر معارف وكنز فضائل لم يكن له في زمانه نظير على بدعته، وعلّق كتاب الفنون وهو أزيد من أربع مائة مجلد، حشد فيه كل ما كان يجري له مع الفضلاء والتلاميذ وما ينسج له من الدقائق والغوامض وما يسمعه من العجائب والحوادث »[3].

وذكره ابن الأثير في تاريخه بقوله: « كان قد اشتغل بمذهب المعتزلة في حداثته على ابن الوليد، فأراد الحنابلة قتله، فاستجار بباب المراتب عدة سنين ثم أظهر توبته »[4].

---

(١) شذرات الذهب (٤/ ٣٥).

(٢) شذرات الذهب (٤/ ٣٥)، والذيل على الطبقات (٣/ ١٢٢)، ومرآة الجنان (٣/ ٢٠٤).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٤٥).

(٤) الكامل (٨/ ٢٩١).

وقال عنه ابن الجوزي: « كان ابن عقيل قوي الدين، حافظًا للحدود، توفي لـه ولدان فظهر منه من الصبر ما يتعجب لمثله، وكان كريمًا ينفق ما يجد، ولم يخلف سوى كتبه وثياب بدنه، وكانت بمقدار كفنه وقضاء دينه »[1].

وقال ابن الجوزي عنه أيضاً: « أفتى ابن عقيل ودرس وناظر الفحول وجمع علوم الأصول والفروع، وصنّف فيها الكتب الكبار، كان دائم الاشتغال بالعلم حتى أني رأيت بخطه: إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري حتى إذا تعطل لساني عند مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعة أعمل فكري في حال راحتي، وإني لأجد من حرص على العلم وأنا في الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين »[2].

وابن عقيل -رحمه الله- لا تأخذه في الله لومة لائم، يقول ابن رجب -رحمه الله-: « كان ابن عقيل -رحمه الله- عظيم الرحمة، وافر الجلالة عند الخلفاء والملوك، وكان شهمًا مقدامًا، يواجه الأكابر بالإنكار بلفظه وخطه »[3].

---

(١) المنتظم (١٧/ ١٨١).

(٢) المنتظم (١٧/ ١٨١).

(٣) الذيل على الطبقات (٣/ ١٢٦).

وقد أثنى عليه ابن رجب بقوله: « كان -رحمه الله- بارعًا في الفقه وأصوله، وله في ذلك استنباطات عظيمة حسنة، وتحريرات كثير مستحسنة، وكانت له يدًا طولى في الوعظ والمعارف، وكلامه في ذلك حسن وأكثره مستنبط من النصوص الشرعية، مستنبط من أحكام الشرع وفضائله معارف جليلة وإشارات دقيقة »[1].

ثم أثنى عليه ثناءً عظيمًا فقال: « كان ابن عقيل -رحمه الله- من أفاضل العالم، وأذكياء بني آدم، مفرط الذكاء، متسع الدائرة في العلوم، وكان خبيرًا بالكلام، مطلّعًا على مذاهب المتكلمين »[2].

ولابن عقيل في ذم الكلام وأهله شيء كبير، ذكر ابن الجوزي أنه قال: أنا أقطع أن الصحابة ماتوا ما عرفوا الجوهر والعرض، فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت »[3].

---

(١) ن. م (٣/ ١٢٦).

(٢) ن. م (٣/ ١٢٦).

(٣) ن. م (٣/ ١٢٦).

أما عن عقيدته:

فقد كان الحنابلة ينكرون عليه -رحمه الله- تردده على المعتزلة واعتقاده لمذهبهم وتعظيمه للحلاج والترحم عليه، فطلبوه فاختفى ثم حضر إلى ديوان السلطان ومعه جماعة من الأصحاب، ومضى ابن عقيل إلى بيت الشريف أبو جعفر، وأعلن توبته بخطه ورجوعه إلى مذهب الحنابلة، وفيها: يقول علي بن عقيل بن محمد: « إني أبرأ إلى الله تعالى من مذاهب مبتدعة الاعتزال وغيره، ومن صحبة أربابه، وتعظيم أصحابه،و الترحم على أسلافهم،و التكثر بأخلاقهم، وما كنت علقته ووجد بخطي عن مذاهبهم وضلالتهم، فأنا تائب إلى الله تعالى من كتابته، ولا تحل كتابته ولا قراءته ولا اعتقاده، واعتقدت في الحلاّج أنه من أهل الدين والزهد والكرامات، ونصرت ذلك في جزء عملته، وأنا تائب إلى الله تعالى منه، وأنه قُتل بإجماع علماء عصره وأصابوا في ذلك، وأخطأ هو، ومع ذلك فإني أستغفر الله تعالى، وأتوب إليه من مخالطة المعتزلة، والمبتدعة، وغير ذلك، والترحم عليهم والتعظيم لهم؛ فإن ذلك كله حرام، ولا يحل لمسلم فعله.

وقد كان الشريف أبوجعفر ومن كان معه من الشيوخ والأتباع سادتي وإخواني -حرسهم الله تعالى- مصيبين في الإنكار عليّ؛ لما شاهدوه بخطي من الكتب التي أبرأ إلى الله تعالى منها، وأتحقق إني

كنت مخطئًا غير مصيب، ومن حفظ عليّ ما ينافي هذا الخط وهذا الإقرار، فلإمام المسلمين مكافأتي على ذلك، وأشهدت الله وملائكته وأولي العلم على ذلك غير مجبر ولا مكره، وباطني وظاهري -يعلم الله تعالى- في ذلك سواء، قال تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾[1].

وكتب يوم الأربعاء عاشر محرم ٤٦٥هـ، وشهد عليه جماعة كثيرة من الشهود والعلماء[2].

ونقل ابن مفلح -رحمه الله- عنه قوله في الفنون: « رجعت إلى معتقدي في الكتب متبعًا الكتاب والسنة، وأبرأ إلى الله ﷻ من كل قول حدث أيام رسول الله ﷺ ليس في القرآن ولا في السنة »[3].

ولهذه العبارة والتي قبلها نستنتج أن ابن عقيل -رحمه الله رحمة واسعة وعفا الله عنه- قد عاد عن التأويل إلى منهج السلف، وذلك سنة ٤٦٥هـ. والله أعلم.

---

(١) سورة المائدة، من الآية (٩٥).

(٢) الذيل على الطبقات (٣/ ١٢٠-١٢١)، وانظر: تحريم النظر في كتب الكلام لابن قدامة المقدسي ص(٣٣-٣٤).

(٣) الآداب الشرعية (١/ ٢٢٦).

وقد ذكر ابن تيمية -رحمه الله- عودة ابن عقيل إلى السنة المحضة[1].

ونقل السمعاني مدح الأديب الإمام أبو المحاسن مسعود الغانمي للإمام أبي الوفاء بن عقيل قوله:

لعلي بن عقيل البغدادي ... مجد لفرق الفرقدين محاذي
قد كان ينصر أحمد خير الورى ... وكلامه أحلى من الأزاد
وإذا تلّهب في الجدال فعنده ... سبحان فيه في التجارب هذي
ما أخرجت بغداد فحلاً مثله ... لله در الفاضل البغدادي
ولقد مضى لسبيله مع عصبة ... كانوا لدين الحق خير ملاذ[2]

٧ـ وفاته:

توفي -رحمه الله تعالى- في جمادى الأولى سنة ٥١٣هـ على القول الأرجح، وقيل ٥١٢هـ[3].

---

(١) انظر: نقص المنطق لابن تيمية ص(١٣٥).

(٢) الذيل على الطبقات (٣/ ١٣٥).

(٣) انظر: المنتظم (١٧/ ١٨٢)، والذيل (٣/ ١٣٤)، ومرآة الجنان (٣/ ٢٠٤)، والبداية والنهاية (١٢/ ١٨٤)، ومعجم المؤلفين (٢/ ٤٧٧).



المبحث الثاني

التعريف بالصوفية، ونشأتها، ومراحل تطورها

- تعريف الصوفية لغةً.
- تعريف الصوفية اصطلاحًا.
- سبب التسمية.
- النشأة ومراحل التطور.



التعريف بالصوفية

في اللغة :

قيل: "الصوف للشاة، والصوفة أخص منه... وصوفة: أبو حي من مضر، وهو الغوث بن مر بن أدٍّ بن طابخة بن إلياس بن مضر، كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحاج، أي يفيضون بهم.

قال الشاعر:

ولا يريمون في التعريف[1] موقفهم   حتى يقال أجيزوا آل صوفانا

"وكبش صاف، أي كثير الصوف.. وصاف السهم عن الهدف يَصُوفُ ويصيفُ أي عدل عنه، ومنه قولهم: صاف عنّي شرّ فلان، وأصاف الله عنّي شرّه"[2].

ومن هذا النص يتبين أن كلمة الصوف تأتي بمعنى الصوف المعروف للشاة ونحوها، كما أنها تأتي بمعنى عدل ومال.

وقيل: "الصاد والواو والفاء أصلٌ واحد صحيح، وهو الصوف

---

(١) أي عرفات: (انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٤/ ١٣٨٩).

(٢) الصحاح (٤/ ١٣٨٨، ١٣٨٩).

وانظر لسان العرب: ٩/ ٢٠٠، والقاموس المحيط للفيروز آبادي (٣/ ١٦٩).



المعروف. والباب كله يرجع إليه. يقال: كبش أصوف وصوفٌ وصائفٌ وصافٌ، كل هذا أن يكون كثير الصوف. ويقولون: أخذ بصوفة قفاه، إذا أخذ بالشعر السائل في نفرته... وأمّا قوله: صاف عن الشرّ، إذا عدل، فهو من باب الإبدال يقال: صاف إذا مال"[1].

تعريف التصوّف اصطلاحاً:

تعدّدت الأقوال حول التعريف الاصطلاحي للتصوف عند الصوفية وغيرهم واختلاف الصوفية حول هذا المعنى، لا يقلّ عن اختلافهم الكبير حول أصله في اللغة، إذ احتشدت به كتبهم حتى تجاوز تعريفه المائة عند بعضهم[2] -حسب زعمه-، وزادت تعاريفه عن الألف عند البعض[3]، بل قال بعضهم[4] أنها زهاء الألفين.

وهنا عدّة أقوال تناولت هذا التعريف:

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٣٢٢).

(٢) انظر: اللمع ص(٤٧).

(٣) انظر: عوارف المعارف ص(٥٨).

(٤) انظر: التعرف لمذهب أهل التصوّف ص(٩).

القول الأول: عند الصوفية:

يقول معروف الكرخي: "التصوّف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق"(١).

ويقول الجنيد وقد سئل عن التصوّف: "أن تكون مع الله بلا علاقة"(٢). ويقول أيضا هو: "أن يمتك الحق عنك ويحييك به"(٣).

وقد عرفه سمنون بقوله: "التصوف هو أن لا تملك شيئا ولا يملكك شيء"(٤).

وللتصوف تعاريف عند ذي النون(٥)، وأبو عمرو الدمشقي(٦)، والشبلي(٧). والحصري(٨)والغزالي(٩).

---

(١) عوارف المعارف ص(٥٤).

(٢) عوارف المعارف ص(٥٤).

(٣) ن.م ص(٥٧).

(٤) اللمع ص(١٥).

(٥) انظر طبقات الصوفية ص(١٠)، عوارف المعارف ص(٥٧).

(٦) انظر طبقات الصوفية ص(٦٦)، والطبقات الكبرى ص(١٠١).

(٧) انظر: طبقات الصوفية ص(٨٢).

(٨) انظر طبقات الصوفية ص(١٢٠).

(٩) انظر: المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي ص (٥٧).

وقد عرّفه البعض بأنه كله اضطراب[1].

ومن وجهة نظري فإن الاختلاف الملحوظ بين هذه التعاريف الصوفية مرده، أن الصوفية لما كانوا أصحاب وجد وذوق، تكلّم به وعرّفه كل واحد منهم بما يروق له. وكما هوا واضح أيضاً فإن هذه التعريفات يكتنفها الفوضى، وتطغى عليها الرمزية والإشارات العامة غير المفهومة.

والملاحظ أن تعريف التصوف عند الصوفية يختلف من عصر إلى آخر، نتيجة لعدم استطاعة القوم، تعريفه تعريفاً جامعاً مانعاً، حتى أخذ ينحو منحى خطيراً كلما تقدّم به الزمن.

يقول الواسطي: "كان للقوم إشارات ثم صارت حركات ثم لم يبق إلا حسرات"[2].

القول الثاني: تعريف التصوّف عند غير الصوفية:

وكما لاحظنا فيما سبق، الاختلاف في تعريف التصوّف عند رموز الصوفية، فإن هذا الاختلاف في مدلول التصوّف نجده أيضا عند

---

(١) انظر: عوارف المعارف ص(٥٩).

(٢) الطبقات الكبرى (١/ ١٠٠).



بعض علماء السلف وبعض المتكلّمين والفلاسفة والباحثين، ولا يسعنا هنا إلا أن نعرض بعضاً من أقوال هؤلاء:

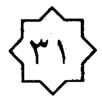
١ - عند ابن الجوزي: التصوف هو : "طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي ثم ترخص المتسبون إليها بالسماع والرقص فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من الزهد. ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب"[١].

٢- عند ابن خلدون: يقول: " وأصلها -أي طريقة التصوّف- العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق للعبادة. وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوّفة"[٢].

٣- عند ابن سينا: في معرض تفريقه بين الزاهد والعابد والصوفي يقول ابن سيناء أن الصوفي الذي يُطْلَقُ عليه العارف - هو المنصرف

(١) تلبيس إبليس ص(١٩).

(٢) مقدّمة ابن خلدون ص(٤٦٧).



بفكره إلى قدس الجبروت مستديما لشروق نور الحق بأسره"[1].

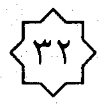
٤- عند عمر فروخ: يقول: "الصوفية حركة بدأت زهدا وورعا، ثم تطورت فأصبحت نظاما شديدا في العبادة، ثم استقرّت اتجاها نفسيا وعقليا بعيدا عن مجراها الأول، وعن الإسلام في كثير من أوجهها المتطرفة"[2].

٥- ولابن تيمية رأي حول ذلك فهو يقول: "أن الناس تنازعوا في طريقتهم -أي الصوفية- فطائفة ذمت التصوف والصوفية وقالوا: إنهم مبتدعون خارجون عن السنة، وطائفة غلت فيهم وادّعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء، ويرى ابن تيمية رحمه الله أنهم مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو أهل اليمين وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، ومنهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب، ويرى ابن تيمية أن من المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه، عاصٍ لربه، وقد انتسب إليهم طوائف من أهل

---

(١) انظر: الإشارات والتنبيهات لابن سينا، (٤/ ٥٧، ٥٨). والعارف: تعبير صوفي اختص به الصوفية دون غيرهم.

(٢) تاريخ الفكر العربي د. عمر فرّوخ ص(٤٧٠).



البدع والزندقة[1].

ويتضّح من هذا النص أن ابن تيمية رحمه الله لم يتجنّ على الصوفية وإنما حكم بأنهم مجتهدون في طاعة الله والمجتهد عرضة للخطأ، وذلك لابتداعهم وخروجهم عن اتباع السنة، كما أنه رحمه الله أوضح صراحة أنه قد انتسب إلى هؤلاء طوائف من أهل البدع والخرافات والزندقة وهؤلاء هم المعنيون في هذا البحث، والذين نحن بصدد بيان جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري في الرد على ضلالاتهم وانحرافاتهم العقدية والسلوكية.

سبب التسمية بالصوفية:

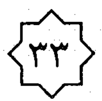
تعددت الأقوال حول نسبة الصوفية، واختلف الباحثون حولها. كما اختلف الصوفية أنفسهم في ذلك، فمن هذه الأقوال:

أ - **النسبة إلى الصفة**[2]:

---

(١) انظر: الفتاوي (١١/ ١٧، ١٨).

(٢) أهل الصفة: كانوا فقراء يقدمون على رسول الله، ﷺ وليس لهم أهل ومال، فبنيت لهم صفّة في شمالي مسجد رسول الله ﷺ، ينزل بها الغرباء الذين ليس لهم أهل وأصحاب ينزلون عندهم، وهم معروفون بالعبادة.
انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي. ص(٢٠١)، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية ص(١٢).



وممّن نقل هذا السهروردي[1]، والهجويري[2]، والكلاباذي[3].

وقد رُدّت لغويا من الهجويري[4]، والسهروردي[5]، والقشيري[6]، و ابن الجوزي[7]، وشيخ الإسلام ابن تيمية.

وابن خلدون في مقدمته[8]، واللفظ لابن تيمية: " .. وهو غلط، لأنه لو كان كذلك لقيل صفّي "[9].

ومن الواضح أن ادعاء المتصوفة، ومن ذهب معهم اشتقاق (تصوّف) من صفّة المسجد) يستهدف به ارتباط التصوّف في نشأته

---

(١) انظر عوارف المعارف للسهروردي ص(٦٢).

(٢) انظر: كشف المحجوب للهجويري ص(٢٢٧).

(٣) انظر التعرّف لمذهب أهل التصوّف للكلاباذي ص(٢٢٧).

(٤) انظر: كشف المحجوب ص(٢٢٧، ٢٣٠).

(٥) انظر: عوارف المعارف ص(٦٢).

(٦) انظر: الرسالة القشيرية للقشيري. تحقيق ودراسة هاني الحاج (المكتبة التوفيقية) ص(٣٨٥).

(٧) انظر: تلبيس إبليس ص(٢٠١).

(٨) انظر: مقدمة ابن خلدون لابن خلدون، ص(٤٦٧).

(٩) انظر: الصوفية والفقراء لابن تيمية ص(١١).

الأولى بعصور تاريخية متقدمة، بل يستهدف ارتباطه بعصر النبوّة، والزعم في نفس الوقت بأن الرسول ﷺ قد أقرّ منهجهم في الافتقار والاعتزال والتجرّد والتواكل المزعوم، وهذا زعم باطل لا يقبله عقل سليم[1].

ويكفي في دحض هذا الرأي ورفضه أنه لا يوجد بين صحابة رسول الله ﷺ من يعتبر منهم -رضوان الله عليهم- أساساً في سلوكه لهذه الدعوة الصوفية. التي قسمت أصحاب رسول الله ﷺ هذا التقسيم الذي جعل بعض أصحابه: متصوّفة وبعضهم غير متصوّف ورسول الله ﷺ بين ظهرانيهم[2].

كما أن الثابت تاريخيا أن أهل الصفّة "هم المهاجرون الذين اختصوا بالسكنى في صفّة مسجد رسول الله ﷺ ؛ مثل أبي هريرة الدوسي، وأبي ذر الغفاري وبلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي -ﷺ-"[3].

---

(١) انظر دراسات في الفرق. د. صابر طعيمة ط٢ (الرياض: مكتبة المعارف - ١٤٠٤هـ) ص(٩٩).

(٢) انظر: الصوفية معتقدا ومسلكا د. صابر طعيمة ص(٢٣).

(٣) شفاء السائل لتهذيب المسائل لابن خلدون ص(١٦، ١٧).

ب – النسبة إلى الصفاء[1]:

قال الكلاباذي: قالت طائفة إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها ونقاء آثارها"[2].

وقال بشر بن الحارث: "الصوفي من صفا قلبه لله"[3].

وقال أبو نعيم: "اشتقاقه عند أهل الإشارات والمنبئين عنه بالعبادات من الصفاء والوفاء"[4].

وقد ردّ هذه التسمية شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: "من قال: نسبة إلى الصفاء قيل له: كان حقّه أن يقال صفائية ولو كان مقصورا لقيل صفوية"[5].

وقد ردّها أيضاً ابن خلدون لأن قياس اللغة يأباه[6].

---

(١) الصفاء: نقيض الكدر، وهو صفاء القلوب، وانشراح الصدور، ومصافاة المودة والإخاء. (انظر: المعجم الصافي في اللغة العربية ص(٣٣٩) حرف الصاد.

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف ص(٢٦).

(٣) التعرّف لمذهب أهل التصوّف ص(٢٦).

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم (١/ ١٧).

(٥) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٣٦٩).

(٦) انظر: مقدّمة ابن خلدون ص(٤٦٧).

جـ- النسبة إلى الصف[1]:

قيل: "إنّما سمّوا صوفية، لأنهم في الصف الأول بين يدي الله جل وعز بارتفاع هممهم إليه، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه"[2].

قلت: وفي هذا تزكية للنفس وقد نهانا الله عن ذلك بقوله: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾[3]، وقد اعترض القشيري على هذه التسمية بقوله: ".. ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف"[4].

كما ردّ شيخ الإسلام ابن تيمية هذه النسبة بقوله: ".. وهو أيضا غلط، فإنه لو كان كذلك لقيل: صَفّي"[5].

---

(١) يقصد الصوفية بهذه النسبة أنهم في الصف الأوّل المقدم بين يدي الله تعالى في عباداتهم، وسلوكهم، وأحوالهم.

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف ص(٢٦-٢٧).

(٣) سورة النجم آية (٣٢).

(٤) الرسالة القشيرية ص(٣٨٥).

(٥) الصوفية والفقراء ص(١١).



د - النسبة إلى صوفه[1]:

قال صاحب اللسان: "الصوفة كل من ولي شيئا من عمل البيت الحرام وهم الصوفانة"[2].

وبمثل ذلك قال ابن الجوزي: ".... أن أول من انفرد به بخدمة الله سبحانه وتعالى عند بيته الحرام رجل يقال له صوفه.

فانتسبوا إليه لمشابهتهم إياه في الانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى فسموا بالصوفية"[3].

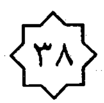
وقد ردّ هذه التسمية شيخ الإسلام بن تيمية بقوله ".. فإنه ضعيف أيضا، لأن هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النسّاك، ولأنه لو نسب النسّاك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى، ولأن غالب من تكلّم باسم الصوف لا يعرف

---

(١) صوفه بن بشر: هو صوفه أبو يحيى من مضر، وهو الغوث بن مر بن أد بن طابخة ابن إلياس من مضر، كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويجيزون الحاج أي يفيضون بهم، كانوا يجاورون مكة من الزمن القديم وهم قبيلة من العرب.
(انظر:حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ١٧)، ولسان العرب لابن منظور (٩/ ٢٠٠) مادة "صوف").

(٢) لسان العرب (٩/ ٢٠٠).

(٣) تلبيس إبليس، ص(١٩٩).



هذه القبيلة ولا يرضى أن يكون مضافا إلى قبيلة في الجاهلية، ولا وجود لها في الإسلام"[1].

هـ- النسبة إلى الصوف:

وممّن نقل هذا عن الصوفية السراج الطوسي[2]، والكلاباذي[3]، والهجويري[4].

ويؤيد هذه النسبة السهروردي بقوله: "كان اختيارهم للبس الصوف لتركهم زينة الدنيا"[5].

ثم يذكر أن هذا الاختيار ملائم من حيث الاشتقاق اللغوي، لأنه يقال "تصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص"[6].

---

(١) الصوفية والفقراء ص(١٢).

(٢) انظر: اللمع في التصوّف. أبي نصر عبدالله السراج الطوسي. تحقيق عبدالحليم محمود. (مصر: دار الكتب الحديثة - ١٣٨٠هـ) ص(٤٠-٤١).

(٣) انظر التعرف لمذهب أهل التصوف ص(٢٧، ٢٨).

(٤) انظر كشف المحجوب ص(٦٠).

(٥) عوارف المعارف ص(٦٠).

(٦) ن. م ص(٦١).

وممّن قال بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "والنسبة في "الصوفية" إلى الصوف لأنه غالب لباس الزهاد"[1].

كما اختار هذا القول ابن خلدون بقوله : قلت: والأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف، وهم في الغالب مختصّون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس "الصوف"[2].

و – النسبة إلى سوفيا اليونانية[3] :

ممّن مال إلى ذلك البيروني بقوله: "أنهم منسوبون إلى "السوفية" الحكماء القائلون بالوحدة، وأن الصوفية أول من أدخل ذلك في الإسلام فسمّوا باسمهم"[4].

كما حاول جرجي زيدان أن يربط بين الكلمة العربية "الصوفية" والكلمة اليونانية "سوفيا فيقول: "وعندنا أنها مشتقة من لفظة يونانية الأصل هي صوفيا" ومعناها الحكمة... فيكون الصوفية قد لقّبوا

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/ ٣٦٩).

(٢) مقدّمة ابن خلدون ص(٤٦٧).

(٣) سوفيا: معناها باليونانية: الحكمة.

(٤) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة. ص(٢٤، ٢٥).

بذلك نسبة إلى الحكمة، لأنهم كانوا يبحثون فيما يقولونه أو يكتبونه بحثا فلسفيا ويؤيد ذلك أنهم لم يظهروا بعلمهم هذا ولا عرفوا بهذه الصفة إلا بعد ترجمة كتب اليونان ودخول لفظة الفلسفة منها"[1].

لكن هذه المحاولة استبعدها البعض لأسباب لغوية ذلك أن حرف (س) اليونانية نقلت إلى العربية مكانها (س) لا (ص) كما أنه لا يوجد في اللغة الآرامية كلمة تعد واسطة لانتقال سوفيا إلى صوفي[2].

ومن خلال ما سبق فالراجح هو النسبة إلى الصوف لأسباب منها:

١ - لأن في ذلك علامة على الزهد، لما فيه من الخشونة المعروفة.

٢ - موافقته للغة.

٣ - ولأن هذا القول قد رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-.

الصوفية في القرآن والسنة:

مهما كان الرأي حول أصل كلمة الصوفية ومدلولاتها، فإنه لا يوجد لها أثر في الكتاب والسنة، ولم يتكلّم بها أحد من الصحابة أو التابعين.

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية (٢/ ٣٦٤).

(٢) انظر تاريخ التصوّف في الإسلام د. قاسم غني، ص(٦٧-٦٨).

ولكن وردت كلمة "أصوافها" في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾[1].

وهذه الكلمة بهذا الاشتقاق بعيدة عن موضوع بحثنا هذا.

كما أنها وردت في السنة النبوية باشتقاقين هما "صوف"، و"صوفه"[2].

ولهذا ذكر بعض الصوفية وغيرهم أن الكلمة مدار البحث مشتقة منهما[3].

النشأة ومراحل التطور:

لعل من نافلة القول أن أعرض وبشكل مبسط الصورة الواضحة عن نشأة التصوف ومراحل تطوره، وربما تكون جلية، فيما أفرده ابن الجوزي رحمه الله عن تاريخ التصوّف من حيث بدأ حتى اكتمل، وبلغ ذروة الانحراف، مما كان يمثّله من رسوم وإشارات وبدع وضلالات وخرافات. يقول ابن الجوزي: "والتصوّف طريقة كان ابتداؤها الزهد

(١) سورة النحل آية (٨٠).

(٢) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي (٣/ ٤٤٣، ٤٤٤).

(٣) راجع النسبة إلى "صوفة"، والنسبة إلى "الصوف".

الكلي، ثم ترخص المتسبون إليها بالسماع والرقص، فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهّد، ومال إليهم طلاّب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب".

ثم قال رحمه الله: وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين، ولما أظهره أوائلهم تكلّموا فيه وعبروا عن صفته بعبارة كبيرة وحاصلها أن التصوّف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة، وحمله على الأخلاق الجميلة الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الآخرة، .. وعلى هذا كان أوائل القوم، فلبّس إبليس عليهم في أشياء ثم لبس على من بعدهم من تابعهم، فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني فزاد تلبيسه عليهم، إلى أن تمكّن من المتأخّرين غاية التمكّن.

وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدّهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل، فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات.. ثم جاء أقوام فتكلّموا لهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنّفوا في ذلك مثل الحارث المحاسبي.. وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوّف، وأفردوه بصفات ميّزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق، وتميّزوا بزيادة النظافة والطهارة... ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق... ثم تشعبت

بأقوام منهم الطرق، فمن هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال بالاتحاد.... وجاء أبو عبدالرحمن السلمي وصنّف لهم كتاب "السنن" وجمع لهم حقائق التفسير، فذكر عنهم فيه العجب في تفسيرهم القرآن... وصنّف لهم أبو نصر السراج كتابا سماه "لمع الصوفية" ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المرذول... وصنّف لهم أبو طالب المكي "قوت القلوب" فذكر فيه الأحاديث الباطلة ومالا يستند فيه إلى أصل... وجاء أبو نعيم الأصفهاني فصنّف لهم كتاب "الحلية" وذكر في حدود التصوّف أشياء منكرة قبيحة... وصنّف لهم عبدالكريم بن هوزان القشيري كتاب "الرسالة" فذكر فيها العجائب عن الكلام في الغناء والبقاء... وجاء محمد طاهر المقدسي[1] فصنّف لهم "صفوة التصوّف" فذكر فيه أشياء يستحي العاقل من ذكرها... وجاء أبو حامد الغزالي فصنّف لهم كتاب "الإحياء" على طريقة القوم وملأه بالأحاديث الباطلة، وهو لا يعلم بطلانها، وتكلّم في علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه..."[2].

---

(١) محمد بن طاهر أبو الفضل ابن القيسراني الظاهري، الصوفي، ولد ببيت المقدس سنة ٤٤٨هـ وتوفي سنة ٥٠٧هـ ببغداد من مصنّفاته "صفوة التصوّف".

انظر ترجمته: في سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٦١)، والأعلام (٦/ ١٧١).

(٢) تلبيس إبليس ص(٢٠١-٢٠٥).

وخلاصة ما سبق يتبيّن أن التصوّف ظهر في القرن الثاني من الهجرة النبوية الشريفة، وأنه تطوّر خلال مراحل، حيث سادت روح الزهد والتقشّف المرحلة الأولى؛ مما هيّأ الظروف المناسبة لبذر بذور التصوّف، وبلغ التصوّف مرحلة النضج والازدهار في المرحلة الثانية، حتى شهدت ظهور الطرق الصوفية، والمصطلحات والرموز الغامضة، وامتزج التصوّف بالفلسفة في المرحلة الثالثة، وانتشرت الطرق الصوفية في العالم العربي والإسلامي، وفي نهاية هذه المرحلة شهد ضعفاً، حيث سادت روح التبعية والتقليد للأفكار السابقة.

وبالجملة فإن التصوّف يمثّل شريحة من المجتمع الإسلامي تدعو إلى البدعة والركون، وأفكاره تنافي مبادئ الدين الإسلامي الحنيف.

ومما لا يدع مجالاً للشك أن نبتة التصوّف لم تكن إسلامية، بل هي نتيجة مؤثّرات خارجية جرّاء احتكاك المسلمين مع الثقافات الأجنبية الأخرى إبّان الفتوحات الإسلامية، وترجمة كتب اليونان الفلسفية، وجلبها للديار الإسلامية.

ومن أهمّ مصادر هذه المؤثرات:

المصدر اليهودي، والمصدر النصراني، والمصدر الهندي، والمصدر اليوناني، والمصدر الفارسي، وفي تحقيق لمجلة الهلال المصرية " فإن

التصوّف في حقيقته خرج من أفكار ومعتقدات مجوسية، وبوذية، ومسيحية، ويهودية، ويونانية وهذه حقيقة يعترف بها المستشرقون الذين درسوا هذا النوع من التصوّف الإسلامي، فهذا "فون كريمر" يقول: إن في التصوّف عنصرين مختلفين أولهما مسيحي رهباني والثاني هندي بوذي.

ويذهب المستشرق "ثولك" إلى أن التصوّف مأخوذ من أصل مجوسي، كما أن مؤسسي فرق الصوفية الأوائل كانوا من نفس ذلك الأصل المجوسي، وكذلك يقول المستشرق الهولاندي "دوزي": أن التصوّف جاء إلى الصوفية من فارس، ، حيث كان موجودا قبل البعثة المحمّدية. أمّا المستشرق "جولدزيهر" فقد فرّق بين تيارين مختلفين في التصوّف أولهما الزهد، وهذا في نظره قريب من روح الإسلام، وإن كان متأثّرا إلى حد كبير بالرهبانية المسيحية. والثاني التصوّف بمعناه الحقيقي وما يتصل به من كلام في المعرفة والأحوال والأذواق، وهو متأثّر من ناحية بالأفلاطونية الحديثة، ومن ناحية أخرى بالبوذية الهندية"[1]، ويقول أحمد أمين: "ثم إن التصوّف لما كان مختلطاً مع الفقه

---

(١) (مجلةّ الهلال، يونية ١٩٨٥م، ١٢ رمضان ١٤٠٥هـ) ص(١٠٦).

في العصر الأوّل كان إسلاميا بحتاً، وكان الزهد طوعاً للأوامر الإسلامية، وظلّ كذلك طول العهد الأيوبي... فلمّا دخل في الإسلام كثير من الأمم الأخرى وأهل الديانات الأخرى كالنصارى، واليهود، والفرس، والهنود، وانتشرت الفلسفة اليونانية والأفلاطونية الحديثة استمد التصوّف من كل هذه المنابع، فلوّن عند بعض الناس بالزرادشتية الفارسية، وبالمذاهب الهندية، ولوّن عند بعض الناس بالنصرانية، وعند بعضهم بالأفلاطونية الحديثة، ثم اختلطت هذه العناصر كلّها بعضها ببعض، وكانت نزعات مختلفة، وطرق مختلفة على مدى العصور"[1].

---

(١) ظهر الإسلام/ أحمد أمين (٢/ ٥٨).

ولمزيد من الإطّلاع على هذه المؤثرات في القضايا العقدية والسلوكية للتصوّف، انظر: نظرية الإتصال عند الصوفية/ د. سارة آل جلوي، والمصادر العامّة للتلقي عند الصوفية/ صادق سليم صادق.



المبحث الثالث

مواقف ابن عقيل من الصوفية

١ـ موقفه من مصادر التلقي والاستدلال.

٢ـ موقفه من الطهارة وأماكن العبادة.

٣ـ موقفه من الدعاء.

٤ـ موقفه من دعوى إسقاط التكاليف.

٥ـ موقفه من دعوى الولاية والكرامة.

٦ـ موقفه من دعوى ترك الزواج وجواز النظر إلى الأمرد.

٧ـ موقفه من التوكل.

٨ـ موقفه من المحبة.

٩ـ موقفه من السماع.

١٠ـ موقفه من الرموز والغموض.



المبحث الثالث
مواقف ابن عقيل من الصوفية

يعدُّ ابن عقيل رحمه الله رحمة واسعة من أشهر علماء الإسلام في القرن السادس الهجري، ولا غرو في ذلك، فقد اعتبر من المكثرين في الرد والإنكار على بدع وخرافات الصوفية؛ إذ اتسمت ردوده بالشدة والغلظة وعدم المهادنة، لا تأخذه في ذلك لومة لائم؛ فذاع صيته، واشتهر من بين العلماء في ذلك القرن، حتى أخذ من جاء بعده بالنقل منه والتعويل عليه، وخاصة في كتابه المشهور في الآفاق "الفنون".

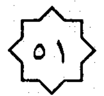
وتلك مواقفه -رحمه الله- من الصوفية في المسائل التالية:

١ - مصادر التلقي والاستدلال عند الصوفية:

اعتمد الصوفية في تلقي عقائدهم وسلوكياتهم والاستدلال عليها على مصادر، رأوا فيها الاستغناء عن الكتاب والسنة.

فقد اعتمد هؤلاء القوم على ما يسمى عندهم "بالكشف" الذي يندرج تحته عدة وسائل؛ منها ما يسمى عندهم بالإلهام والخواطر وغيرها.

يقول أبويزيد البسطامي: « أخذتم علمكم ميتًا عن ميت،



وأخذنا علمنا عن الحق الذي لا يموت؛ يقول أمثالنا: حدثني قلبي عن ربي، وأنتم تقولون حدثني فلان، وأين فلان؟ قالوا: مات، عن فلان: أين هو؟ قالوا مات»[1].

وهذا يعني عن طريق الإلهام.

ويقول السهروردي المقتول: « ما يتلقى الأنبياء والأولياء وغيرهم من المغيبات فإنها قد ترد عليهم في أسطر مكتوبة وقد ترد بسماع صوت، قد يكون لذيذًا، وقد يكون هائلاً »[2].

وهذا ما يسمى عندهم بالخاطر.

كما اعتمد الصوفية في منهجهم في الاستدلال على أحاديث موضوعة مثل استدلالهم على صيام النصف من شعبان، وما يسمى عندهم بصلاة الرغائب[3].

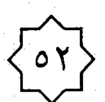
كذلك فرقوا بين الشريعة والحقيقة يقول الترمذي الملقب

---

(١) الفتوحات المكية لابن عربي (١/ ٣٦٥).

(٢) حكمه الإشراق، شهاب الدين، يحيى سهروردي، نشر المعهد العشريني في إيران بعناية المستشرق هنري كربين، ظهران - ١٩٥٣م، ص(٢٤٠-٢٤١).

(٣) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (١/ ٢٠٢-٢٠٣)، وقوت القلوب (١/ ٧٤)، الغنية للجيلاني (١/ ١٨٢).



عندهم بالحكيم: « أكثر الشريعة جاءت على فهم العامة »[1].

وانظر إلى قول صاحب قوت القلوب: « أهل الظاهر هم أهل الخير واللسان وعلماء الباطن هم أرباب القلوب والعيان وعلم الظاهر حكم وعلم الباطن حاكم »[2].

أيضًا اعتبر الصوفية مشايخهم من أهم مصادر الاستدلال عندهم يقول أحدهم: « من لم يعتقد في شيخه الكمال لا يفلح على يديه أبدًا »[3].

كما يقول أبويزيد البسطامي: «من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان»[4].

موقف ابن عقيل من مصادر التلقي والاستدلال عند الصوفية :

أنكر ابن عقيل -رحمه الله تعالى- على جهلة وغلاة الصوفية اعتقادهم بالكشف الذي عدّوه من أرقى مصادر التلقي عندهم، وكفَّر من يعتقد به فقال: « ومن قال حدثني قلبي عن ربي، فقد صرّح أنه غني عن الرسول ﷺ ومن صرَّح بذلك فقد كفر، فهذه كلمة مدسوسة

---

(١) ختم الأولياء للترمذي ص(٢٣٧)، والعامة بزعمهم هم أهل السنة والجماعة.

(٢) قوت القلوب لأبي طالب المكي (١/ ١٥٨).

(٣) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية (١/ ١٧٤).

(٤) الرسالة القشيرية ص(٥٧٢).

في الشريعة تحتها هذه الزندقة...، وعوّل على ما يلقى في قلبه الذي لم يثبت حراسته من الوساوس »[1].

كما كفّرهم -رحمه الله- في إسقاطهم السفارات والنبوات، وعوّلوا على تلقي علومهم عن طريق الإلهام وعدّ ذلك من التعطيل لأوامر الشريعة المؤدي إلى الزندقة فهو يقول: « فهم بذلك يدعون الاستغناء عن الرسول ﷺ، ومن صرح بذلك فقد كفر، وهذه زندقة تؤدي بصاحبها إلى تعطيل أوامر الشرع »[2].

وعدَّ ابن عقيل مزاعم الصوفية في الإلهام والخواطر من إلقاء الشياطين ووساوسهم، فقال: « وما يؤمن هذا القائل: « حدثني قلبي عن ربي » أن يكون ذلك من إلقاء الشياطين فقد قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾[3].

وهذا هو الظاهر؛ لأنه يترك الدليل المعصوم، وعوّل على ما يلقي في قلبه الذي لم تثبت حراسته من الوساوس وهؤلاء يسمون ما يقربهم خاطر »[4].

---

(١) تلبيس إبليس، ص(٣٧٥).

(٢) نفس المرجع السابق، ص(٣٧٥).

(٣) سورة الإنعام، آية (١٢١).

(٤) تلبيس إبليس ص(٣٧٥).

بل نجده -رحمه الله- يوجب عليهم لعنة الله، وأن ليس لهم إلا السيف؛ فهو يقول: « والذي يمكنني في حق أهل البدع لساني وقلبي ولو اتسعت قدرتي في السيف لرويت الثرى من دماء خلق »[1].

وكان -رحمه الله تعالى- من أشد المحذرين من هؤلاء المخرفين المبتدعة، عندما اعتمدوا في مصادرهم في الاستدلال على الأحاديث الموضوعة، فقد نقل عن شيخه أبو الفضل الهمذاني قوله: « مبتدعة الإسلام والواضعون للأحاديث أشد من الملحدين، لأن الملحدين قصدوا إفساد الدين من خارج، وهؤلاء قصدوا إفساده من داخل، فهم كأهل بلد سعوا في إفساد أحواله، والملحدون كالمحاصرين خارج والدخلاء يفتحون الحصن، فهو شر على الإسلام من غير الملابسين له»[2].

وأكد ابن عقيل -رحمه الله- على أن مصنفي الصوفية قد نهجوا في تفسير القرآن الكريم، ووضع الأحاديث المكذوبة منهجًا خطيرًا استدلوا به على تحقيق غاياتهم ومآربهم الفاسدة واصطياد العوام، فهو يقول: « فإن قال قائل هم أهل نظافة ومحاريب وحسن سمت، وأخلاق، قال: فقلت لهم لو لم يضعوا طريقة يجتذبوا بها قلوب أمثالكم

---

(١) تلبس إبليس ص(٣٤٨).

(٢) الموضوعات لابن الجوزي (١/ ٤٤).

لم يدم لهم عيش، والذي وصفتهم به رهبانية النصرانية، ولو رأيت نظافة أهل التطفيل على الموائد، ومخانيث بغداد ودماثة المغنيات لعلمت أن طريقتهم طريقة الفكاهة والخداع، وهل يخدع الناس إلا بالطريقة، أو لسان، فإن لم يكن للقوم قدم في العلم ولا طريقة فبماذا يجتذبون به قلوب أرباب الأموال؟ أو اعلم أن حمل التكليف صعب، ولا أسهل على أهل الخلاعة من مفارقة الجماعة، ولا أصعب عليهم من حجر ومنع صدر عن أوامر الشرع ونواهيه »[1].

ولما غلا هؤلاء الجهلة بأوليائهم ومشايخهم وجعلوهم لا يسألون عما يفعلون!، أنكر ابن عقيل عليهم اقتداؤهم بهؤلاء السذج من المشايخ والأولياء المتوهمين، وعدّهم من أضر أهل الأهواء والبدع والخرافات على الإسلام فهو يقول: « ما على الشريعة أضر من المتكلمين والمتصوفة، فهؤلاء المتكلمون يفسدون عقائد الناس بتوهيمات وشبهات العقول، وهؤلاء المتصوفة يفسدون الأعمال ويهدمون قوانين الأديان، فالذي يقول: حدثني قلبي عن ربي، فقد استغنى عن رسول الله ﷺ، وقد خبرت طريقة الفريقين، فغاية هؤلاء

---

(١) تلبيس إبليس ص(٣٧٤، ٣٧٥).

المتكلمين الشك، وغاية هؤلاء المتصوفة الشطح؛ والمتكلمون عندي خير من المتصوفة، ما لله طائفة أجلُّ من قوم حدثوا عنه، وما أحدثوا، وعولوا على ما رووا لا على ما رأوا »[١].

كما يقول -رحمه الله- في معرض إنكاره على مشايخ الصوفية: « والله لقد رأيت مشايخ في عصري -القرن السادس الهجري- ما بان لهم سن في تبسم فضلا عن ضحك، مع إدمان مخالطتي لهم، كالشيخ أبي القاسم ابن زيدان، وعبدالملك بن بشران، وأبي طاهر ابن العلاف، والجنيد، والدينوري »[٢].

ويقول -رحمه الله تعالى- : « يسلمون أنفسهم إلى شيوخهم، فإن عولوا إلى مرتبة شيخه، قيل الشيخ لا يُعترض عليه...، فإن قبَّل أمردًا، قيل رحمة، وإن خلا بأجنبية قيل بنته...، وإن قسم ثوباً على غير أربابه من غير مالكًا؛ قيل حكم الخرقة.

قال ابن عقيل: وليس لنا شيخ نسلم إليه حاله؛ إذ ليس لنا شيخ غير داخل في التكليف، ولو كان لنا شيخ نسلم إليه حاله؛ لكان ذلك الشيخ أبا بكر الصديق -رضي الله عنه-.

---

(١) تلبيس إبليس ص(٣٧٣، ٣٧٥)، الآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ٢٢٨).

(٢) تلبيس إبليس ص(٣٧٢).

إلى أن قال -رحمه الله-: لقد قال: أبوبكر: إن اعوججت فقوموني، ولم يقل: فسلموا إليّ فإن من خرج عن النقل والعقل، فليس بمعدود في الناس، وليس أحد من الخلق إلا هو مستدل، فنسأل الله ﷻ العصمة من تخليط المريدين والأشياخ »[1].

وانتقد ابن عقيل المتصوفة عندما فرقوا بين علوم الشريعة وجعلوها ظاهرًا وباطنًا، فما كان ظاهره فهو مقتصر على أهل السنة والجماعة الذين أطلق عليهم الصوفية مصطلح "العامة"، وما كان باطناً فهو مقتصر عليهم وحدهم، وحذر ابن عقيل الأمة من الاستماع إلى ترهات وخزعبلات هؤلاء الفرَّغ، وعدَّ أفعالهم وأقوالهم من أقبح الأفعال والأقوال قائلاً: « فالله الله في الإصغاء إلى هؤلاء الفرغ الخالين من الإثبات، وإنما هم زنادقة جمعوا بين مدارع العمال مرقعات وصوف وبين أعمال الخلفاء الملحدة، أكل وشرب ورقص وسماع وإهمال لأحكام الشرع، ولم يتجاسر الزنادقة أن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة، فجاءوا بوضع أهل الخلاعة، فأول ما وضعوا أسماء وقالوا حقيقة وشريعة، وهذا قبيح »[2].

---

(١) تلبيس إبليس ص(٢١٨، ٣٧٣).

(٢) تلبيس إبليس ص(٣٤٧).

ثم علّل ذلك بقوله: « لأن الشريعة ما وضعه الحق لصالح الخلق وتعبداتهم، فما الحقيقة بعدها سوى شيء واقع في النفس بين إلقاء الشياطين، وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور ومخدوع »[1].

وكان له -رحمه الله- موقفه المتشدد والمنكر على الغزالي وكتابه « إحياء علوم الدين » الذي اشتمل على الكثير من البدع والخرافات والأحاديث الموضوعة، حتى جزم -رحمه الله- أن كثيراً من مباحثه زندقة خالصة لا يقبل لصاحبها صرف ولا عدل، وزيَّف ما فيه من التموية والترقيع[2].

٢- الطهارة وأماكن العبادة عند الصوفية.

الطهارة من حدث أصغر أو أكبر شرط من شروط صحة الصلاة، ولكن الصوفية وقعوا في مخالفات في هذا الجانب، من ذلك الوسوسة في الوضوء والمبالغة في استعمال الماء.

فقد نقل أبوالسراج الطوسي صاحب « اللمع » عن شيخ من

---

(١) تلبيس إبليس ص(٣٢٥).

(٢) انظر غاية الأماني في الرد على النبهاني، محمود شكري الألوسي، ط٢ (الرياض: مطبعة الرياض، ١٣٩١هـ) (٢/ ٣٦٩-٣٧٠).

المشايخ الصوفية « كان به وسوسة في الوضوء، وكان يكثر صب الماء فسمعته يقول: كنت ليلة من الليالي أجدد الوضوء لصلاة العشاء، وكنت أصب الماء على نفسي، حتى مضى شطر من الليل، فلم يطب قلبي، ولم تذهب عني الوسوسة »[1].

وروي عن أحد شيوخ الجنيد أنه أصابته جنابة والبرد شديد فرمى نفسه في النهر ثم خرج ولم ينزع ثيابه وهي مبتلة تأديبًا لنفسه، لعدم امتثالها الأمر الشرعي بالاغتسال حين ترددت في الدخول إلى الماء لشدة البرد»[2].

هذا في جانب الطهارة والوضوء للصلاة.

أما في أماكن العبادة فقد اتخذ الصوفية لهم أماكن تسمى عندهم بالخلوة أو الزوايا والتكايا والأربطة، اعتبروها من الأسس الثابتة لعمل المريد.

يقول سهل التستري: « ما صار الأبدال إلا بأربع خصال، وذكر منها الخلوة »[3].

---

(١) اللمع للطوسي ص(١٩٨).

(٢) انظر اللمع ص(١٩٨).

(٣) انظر الإحياء (٣/ ٨٣).

ومن لوازم هذه الأماكن: « الوحدة والانفراد والعزلة عن مخالطة الناس، يقول الشبلي: « الزم الوحدة وأمح اسمك من القوم، واستقبل الجدار حتى الموت » [1].

موقف ابن عقيل من الطهارة وأماكن العبادة عند الصوفية :

أمام أفعال المتصوفة في عبادة الوضوء، وأمام ما اتخذه هؤلاء القوم من أماكن خصصت لعباداتهم البدعية، كان ابن عقيل من أبرز المنكرين لهذه البدع لمصادمتها أوامر الشرع المطهر، فقد ذمّ ابن عقيل الصوفية الذين بالغوا في الطهارة والوضوء وردّ عليهم دعواهم أن ذلك من أجل الاحتراز والاحتياط، وعدَّ ذلك داخلاً في دائرة الوسوسة التي نهى الشارع عنها؛ بل عدَّ ذلك من وساوس الشيطان التي أدت بهؤلاء إلى الجنون.

وسَخِرَ -رحمه الله- من أفعالهم، حيث ذكر أن رجلاً قال له: انغمس في الماء مرارًا كثيرة، وأشك هل صح لي الغسل أم لا في ذلك؟ قال له ابن عقيل على سبيل الإنكار والسخرية: اذهب، فقد سقطت عنك

---

(١) قوت القلوب (١/ ١٤٤)، الرسالة القشيرية ص(١٧٩).

الصلاة، قال: وكيف؟! قال: لأن النبي ﷺ قال: « إن القلم رفع عن المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يدرك وعن النائم حتى يستيقظ »[1].

ومن ينغمس في الماء مرارًا ويشك هل أصابه الماء، أم لا فهو مجنون[2].

كما ذمَّ ابن عقيل -رحمه الله- الصوفية عندما جعلوا لهم الأربطة والزوايا والتكايا للانعزال عن الناس بدعوى العبادة، وعدّها ابن عقيل مناخًا للبطالة بقوله: « وإنما أذم الصوفية لوجوه يوجب الشرع ذم فعلها، منها أنهم اتخذوا مناخ البطالة وهي الأربطة، فانقطعوا إليها عن الجماعات في المساجد، فلا هي مساجد ولا بيوت ولا خانات، وصمدوا فيها للبطالة عن أعمال المعاش، وبدَّنوا أنفسهم بدن البهائم للأكل والشرب والرقص والغناء، وعوّلوا على الترقيع المعتمد به التحسين تلميعًا والمشاوذ بألوان مخصوصة أوقع في نفوس العوام والنسوة من تلميع السقلاطون بألوان الحرير، واستمالوا النسوة والمردان بتصنع الصور واللباس، فما دخلوا بيتًا فيه نسوة فخرجوا إلا عن فساد قلوب النسوة على أزواجهن »[3].

---

(١) كتاب الحدود، باب لا يرجم المجنون والمجنونة (٨/ ٢١).

(٢) انظر: تلبيس إبليس ص(١٣٨).

(٣) تلبيس إبليس ص(٣٧٢).

٣- الدعاء عند الصوفية:

الدعاء هو العبادة؛ بل هو من أجل العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله، ولكن الصوفية -هداهم الله- يرون أنه لا فائدة من الدعاء، فقد نقل الكلاباذي قولهم: «علمه بحالي يغني عن سؤالي»(١).

وقد زعموا أن الدعاء اعتراض على ما اقتضاه الله وقدره، يقول الغزالي: «ضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة أيام لم يعرف له خبر، فقيل له: لو سألت الله أن يرده عليك، فقال: اعتراضي عليه فيما قضى، أشد علي من ذهاب ولدي»(٢).

ولكننا نجد الصوفية وقعوا في تناقض؛ عندما توجهوا بالدعاء إلى أوليائهم ومشايخهم، فقد نقل عن معروف الكرخي قوله لأصحابه: «إن كان لكم إلى الله تعالى حاجة فأقسموا عليه بي، ولا تقسموا عليه به تعالى فقيل له: لِمَ؟ فقال: هؤلاء لا يعرفون الله تعالى، فلم يجبهم، ولو أنهم عرفوه لأجابهم»(٣).

وكان معروف الكرخي يقول لابن أخيه يعقوب: «يا بني إذا

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ص(٧٦).

(٢) إحياء علوم الدين (٤/ ٣٥٠).

(٣) كشف النور عن أصحاب القبور، عبدالغني النابلسي (لاهور، الرضوية) ص(٢٠).

كان لك إلى الله حاجة فسله بي »[1].

موقف ابن عقيل من الدعاء عند الصوفية:

أمام خرافات الصوفية وخزعبلاتهم في عبادة الدعاء، وقف العالم الكبير الجهبذ ابن عقيل منتقداً إياهم انتقاداً لاذعاً في مسألة الدعاء، وصرفه لغير الله سبحانه، ودعوى الصوفية الزائفة أنه مجاب -أي الدعاء- عند السماع (الغناء) الذي يزعمون أنه عبادة وطاعة يتقربون بها إلى الله قائلاً ومفندًا هذه الدعوى الزائفة: « القلوب لا تحدى إلا بوعد الله في القرآن، ووعده وسنة الرسول ﷺ ؛ لأن الله سبحانه يقول في كتابه العزيز ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾[2].

وعدّ ابن عقيل -رحمه الله- ذلك من أشدِّ الكفر؛ لأن من اعتقد الحرام أو المكروه قربة كان بهذا الاعتقاد كافرًا[3].

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني (٨/ ٣٦٤).

والتوجه بالسؤال لا يجوز إلا إلى الله تعالى وحده.

(٢) سورة الأنفال، آية (٢).

(٣) انظر تلبيس إبليس ص(٢٤٦، ٢٥٠).

وردَّ عليهم -رحمه الله- فريتهم الزاعمة بأنه لا فائدة من الدعاء، وبين المعاني في ذلك التي من أجلها شرع الدعاء؛ ليبين كذب من رأى عدم الفائدة منه قائلاً: « قد ندب الله تعالى إلى الدعاء، وفي ذلك معانٍ:

أحدها: الوجود، فإن من ليس بموجود لا يدعى.

الثاني: الغني، فإن الفقير لا يدعى.

الثالث: السمع، فإن الأصم لا يدعى.

الرابع: الكرم، فإن البخيل لا يدعى.

الخامس: الرحمة، فإن القاسي لا يدعى.

السادس: القدرة، فإن العاجز لا يدعى.

ومن يقول بالطبائع يعلم أن النار لا يقال لها: كفي! ولا النجم يقال له: أصلح مزاجي!! لأن هذه عندهم مؤثرة طبعاً لا اختيارًا، فشرع الدعاء وصلاة الاستسقاء ليبين كذب أهل الطبائع »[1].

ولا يخفى على لبيب قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2]، والذي عليه أكثر الخلق من المسلمين: أن الدعاء من أقوى

---

(١) العقيدة الطحاوية، علي بن أبي العز، تحقيق: . عبدالله التركي، وشعيب الأرناؤوط (مؤسسة الرسالة) (٢/ ٦٧٨)، والآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٢٦٨).

(٢) سورة غافر، آية (٦٠).

الأسباب في جلب المنافع، ودفع المضار.

وما أحسن قول القائل:

الربُ يغضب إن تركت سؤاله   وبني آدم حين يُسأل يغضبُ

وقد وقع المتصوفة المخرفون في تناقض تام ؛ فهم في حين يرون أن الدعاء حجاب إذا صرف لمشايخهم ؛ وفي حين آخر يرون أنه لا فائدة منه إذا صُرِفَ للخالق سبحانه ! ! نعوذ بالله من ترهات الصوفية.

٤- دعوى إسقاط التكاليف عند الصوفية:

زعم الصوفية أن هناك مرتبة إذا وصل إليها العابد الصوفي سقطت عنه التكاليف الشرعية من عبادات وغيرها، وحلت له المحرمات، ودعوى الوصول عند الصوفية يتأولون بها قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾(١).

قالوا: « إن العبد إذا بلغ غاية المحبة وصفا قلبه من الغفلة واختار الإيمان على الكفر سقط عنه الأمر والنهي ولا يدخله الله النار بارتكاب الكبائر وتسقط عنه العبادات الظاهرة وتكون عبادته

---

(١) سورة الحجر، آية (٩٩).

التفكر»[1].

ويقول أحمد بن عطاء: «العارف لا تكليف عليه»[2].

وقد قالوا: «إن التكاليف الشرعية من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر تسقط عن العبد وجوبًا أثناء خلوته واعتزاله الناس»[3].

موقف ابن عقيل من دعوى إسقاط التكاليف عند الصوفية:

كان لابن عقيل -رحمه الله- موقفًا حازمًا إزاء دعوى إسقاط التكاليف الشرعية التي قال بها الصوفية؛ إذ أنكر عليهم هذه الدعوى الزائفة التي تؤدي إلى إسقاط الأوامر والنواهي الشرعية عن أوليائهم ومشايخهم، وقد بين -رحمه الله- أن الصوفية بعدوا عن الشرع إلى أوضاع اخترعوها، فأسقطوا العبادات عنهم بزعمهم أنها أشياء نصبت للعوام (أهل السنة!!) وبين أن ذلك من شطحات الصوفية، وأن ذلك شرك مع الله حيث قال: «اعلم أن الناس شردوا على الله ﷻ وبعدوا عن وضع الشرع إلى أوضاعهم المخترعة، فمنهم من عبد سواه تعظيمًا

---

(١) إتحاف السادة المتقين (٢/ ٢٨٤).

(٢) الطبقات الكبرى (١/ ٩٦)، والعارف هو الصوفي عندهم.

(٣) حياة القلوب بهامش قوت القلوب (٢/ ١٠١).

له عن العبادة، وجعلوا تلك وسائل على زعمهم، ومنهم من وحَّد، إلا أنه أسقط العبادات وقال هذه أشياء نصبت للعوام!! لعدم المعارف، وهذا نوع شرك؛ لأن الله ﷻ لما عرف أن معرفته ذات قعر بعيد، وجو عال وبعيد أن يتقى من لم يعرف خوف النار؛ لأن الخلق قد عرفوا قدر لذعها، وقال لأهل المعرفة: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[1].

وعلم أن المتعبدات أكثرها تفيض الأنس بالأمثال، ووضع الجهات والأمكنة والأبنية والحجارة للأنساك والاستقبال، فأبان من حقائق الإيمان به فقال: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾[2]، وقال -تعالى-: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾[3].

فعلم أن المعوّل على المقاصد، ولا يكفي مجرد المعارف من غير امتثال لما يقول عليه الملحدة الباطنية وشطاح الصوفية »[4].

وقد ذمَّ ابن عقيل -رحمه الله- كلَّ من خرج عن الشريعة من

---

(١) سورة آل عمران، آية (٢٨).

(٢) سورة البقرة، آية (١٧٧).

(٣) سورة الحج، آية (٣٧).

(٤) تلبيس إبليس ص(٣٧٠).

أهل الأهواء والبدع ومنهم أهل الكلام والصوفية، ذكر ذلك في كتابه المشهور « الفنون ».

يقول: « المتكلمون وقفوا النظر في الشرع بأدلة العقول فتفلسفوا واعتمد الصوفية المتوهمة على واقعهم فتكهنوا؛ لأن الفلاسفة اعتمدوا عن كشف حقائق الأشياء بزعمهم، والكهان اعتمدوا على ما يُلقى إليهم من الاطِّلاع، وجميعًا خوارج على الشرائع، هذا يتجاسر إن تكلم في المسائل التي فيها صريح نقل بما يخالف ذلك المنقول، بمقتضى ما يزعم أنه يجب في العقل، وهذا يقول: قال لي قلبي عن ربي، فلا على هؤلاء أصحت، ولا على هؤلاء أمسيت ».

وأضاف -رحمه الله- قائلاً: « فإن اشتبه على قوم ما دلَّسه الصوفية، عليهم من قول النبي ﷺ: « إن في أمتي محدثين ومكلمين »، وهو ما يُلقى من الفراسات والدرايات، كما نطق به عمر؛ قيل لهم: لو نطق عمر برأيه ولم يصدقه الوحي على لسان السفير، لما التُفت إلى واقعته، ولا يُبنى الشرع على فراسته. ألا تراه لما مات السفير قال من هو أعلى طبقة منه: أي سماء تظلُّني، وأي أرض تقلُّني إذا قلت في كتاب الله برأيي؟...، يقول الصديق هذا وأسلِّم اليوم لشيخ رباط يخلو بأمرد في سمعه، ويسمع الغناء من أمرد وحَرّة، ويأكل من الحرام شبعة، ويرقص كما تشمس الخيل، لا يسأل الفقهاء، ولا يبني أمره على النقل،

يقول لواقعةٍ، ويقول أتباعه: الشيخ يسلَّم إليه طريقته، وأي طريقة مع الشرع؟! وهل أبقت الشريعة لقائل قولاً؟ وهل جاءت إلا بهدم العوايد ونقض الطرايق؟ ما على الشريعة أضر من المتكلمين والمتصوفين، هؤلاء -أي المتكلمون- يفسدون العقول بتوهمات شبهات العقول، وهؤلاء -أي المتصوفة- يفسدون الأعمال ويهدمون قوانين الأديان »[1].

٥- دعوى الولاية والكرامة عند الصوفية:

رفع الصوفية من قدر أوليائهم ومشايخهم، وغلوا في هذا الجانب غلوًا كبيرًا حتى أضفوا هالة من التقديس، فقد اعتبروا دعوى علم الغيب من خصائصهم فهم بزعمهم يعلمون ما كان وما سيكون، يقول السهروردي المقتول: « إن الأولياء ويسميهم إخوان التجريد ليتعلمون العلم من روح القدس بلا تعلم بشري...، ويخبرون بالجزئيات الواقعة على الماضي والمستقبل »[2].

---

(١) درء تعارض النقل والعقل لابن تيمية (٨/ ٦١-٦٨).

(٢) اللمحات للسهروردي، حققه وقدم له أميل المعلوف (بيروت: دار النهار للنشر - ١٩٦٩م) ص(١٤٧، ١٤٨).

ويقولون: « من قال لأستاذه لِمَ؟ لا يفلح لأن الشيخ في أهله كالنبي في أمته »[1].

ومن صور غلوهم في هذا الأمر أن فضلوا أوليائهم على أنبياء الله عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم، وساووا بينهما بالفضل.

يقول السهروردي في عوارفه: « إن الطينة التي خلق منها البشر قد وطأتها قدما إبليس قبل أن يأخذها جبريل لتكون منها المخلوقات، بينما الطينة التي خلق منها الأنبياء والأولياء لم تمسها قدما إبليس فبقيت زكية نقية »[2] .

وهنا السهروردي ساوا بين الأنبياء والأولياء.

ويقول الشبلي في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝﴾[3] والله لا رضي محمد ﷺ وفي النار من أمته أحد، ثم قال: إن محمدًا يشفع في أمته وأشفع بعده في النار حتى لا يبقى فيها أحد »[4].

وهنا الشبلي فضل نفسه على نبينا محمد ﷺ .

---

(١) غيث المواهب العلية (١/ ١٩٧).

(٢) عوارف المعارف، ص(١٩).

(٣) سورة الضحى، آية (٥).

(٤) الموسوعة الصوفية للحقني ص(٢٤٠).

ويقول أبويزيد البسطامي: « تالله إن لوائي أعظم من لواء محمد ﷺ، لوائي من نور تحته الجان والإنس، كلهم من النبيين »[1].

وقد حكي عن أبي يزيد البسطامي قوله: « وما النار والله لئن رأيتها لأطفأتها بطرف مرقعتي » وهذه من دعاوى الكرامة لأوليائهم حسب زعمهم.

أيضًا غلا الصوفية بأوليائهم ومشايخهم وذلك عندما قاموا بزيارة قبورهم والتبرك بها والاستعانة والاستغاثة بها وتقديم النذور والقرابين لها ودعوا إلى ذلك وعدوه من القربات.

يقول الجنيد عن قبر معروف الكرخي: « قبر معروف ترياق مجرب يستسقى به ويتبرك الناس بزيارته »[2].

موقف ابن عقيل من دعاوى الولاية والكرامة عند الصوفية :

أمام دعاوى الصوفية في الولاية والكرامة لمشايخهم والتي بلغت حد الخرافة التي لا يقبلها العقل فضلاً عن بطلانها عند عرضها على

---

(١) النور من كلمات أبي طيفور ص(١٤٣).

(٢) الرسالة القشيرية ص(٦٧)، وطبقات الصوفية ص(٢١).

والترياق هو دواء السموم، فارس معرب، انظر لسان العرب (٢/ ٣١).



ميزان الشريعة؛ فقد أنكر ابن عقيل على الصوفية هذه الدعاوى الفاسدة وردَّها واعتبرها دعاوى زائفة؛ بل حكم على من يدعي ذلك بالزندقة وأوجب عليهم القتل.

فهو يقول في معرض ردِّه على أبي يزيد البسطامي عندما ادعى أنه يستطيع إطفاء النار بمرقعته!: « ومن قال هذا كائن من كان فهو زنديق يجب قتله فإن الإهوان للشيء ثمرة الجحد؛ لأن من يؤمن بالجن يقشعر في الظلمة، ومن لا يؤمن لا ينزعج وربما قال يا جن خذوني، ومثل هذا القائل ينبغي أن يقرب إلى وجهه شمعة فإذا انزعج قيل له هذه جذوة من نار »[1].

وقد انتقد ابن عقيل -رحمه الله- مزاعم الصوفية في ادعائهم الغيب وردَّ عليهم خرافاتهم ودعاويهم الباطلة مبيناً كيفية نسجهم لهذه الخزعبلات قائلاً: « وكان ابن الشباس[2] وأبوه قبله لهم طيور سوابق وأصدقاء في جميع البلاد، فينزل بهم قوم فيرفع طائرًا في الحال إلى قريتهم يخبر بخبر من له هناك بنزولهم ويستعمله من أحوالهم وما

---

(١) تلبيس إبليس ص(٣٤٣).

(٢) ابن الشباس، أبوعبدالله وأبوه علي بن الحسن البغدادي، توفي بالبصرة سنة (٤٤٤هـ).

تجدد هناك بعدهم قبل أن يجتمع عليهم ويستعلم حالهم، فيكتب ذلك إليه الجواب، ثم يجتمع بهم فيخبرهم بتلك الحوادث ويحدثهم بأحوالهم حديث من هو معهم ومعاشرهم في بلادهم ثم يحدثهم بما تجدد بعدهم وفي يومه ذلك فيقول الساعة تجدد كذا وكذا، فيدهشون ويرجعون إلى رستاقهم فيجدون الأمر على ما قال، ويتكرر هذا منه فيصير عندهم كالقطعي على أنه يعلم الغيب، قال: وما كان يفعله أنه يأخذ طير عصفور ويشد في رجليه تلفكًا ويجعل في التلفك بطاقة صغيرة ويشد في رجل حمامة تلفكًا ويشد في طرف التلفك كتابًا أكبر من ذلك ويجعله بين يديه ويجعل العصفور بيد ويأخذ غلامًا له في السطح والحمامة بيد آخر فيه ما في تلك البطاقة الصغيرة ويطلق الطائر العصفور فينظر الناس الكتاب وهو طائر في الهواء فيروح الحمام إلى تلك القرية فيأخذه صديقه الذي هناك ثم يخبره بجميع أمور القرية وأصحابها فلما تكامل مجلسه بالناس يشير وينادي يا بارش كأنه يخاطب شيطانًا اسمه بارش ويقول خذ هذا الكتاب إلى قرية فلان فقد جرت بينهم خصومة فاجتهد في إصلاح ذات بينهم ويرفع صوته بذلك فيسرح غلامه المترصد العصفور الذي في يده فيرفع الكتاب نحو السماء بحضرة الجماعة يرونه عياناً من غير أن يرون التلفك فإذا ارتفع الكتاب جذبه الغلام المقيد بالعصفور وقطع التلفك حتى لا يرى ويرسل العصفور

إلى تلك القرية ليصلح الأمر وكذلك يفعل بالحمامة، ثم يقول لغلامه هات الكتاب فيلقيه الغلام الذي في السطح الذي قد جاءه خبر ما في القرية التي هؤلاء منها ثم يكتب كتابًا إلى دهقان[1] تلك القرية، فيشد به بلفكا ويجعله في رجل عصفور كما قدمنا ويطلقه حتى يعلو سطح المكان فيأخذه ذلك الغلام فيشده في رجل طير حمام فيروح إلى تلك القرية بذلك الكتاب، فيصلح بين الناس الذين قد أتاه خبرهم بالمشاجرة، فتخرج الجماعة الذين من تلك القرية فيجدون كتاب الشيخ قد وصل لهم وقد اجتمع دهاقين القرية وألحوا بينهم فيجيء ذلك فيخبرهم فلا يشكون في ذلك أنه يعلم الغيب ويتحقق هذا في قلوب العوام.

قال ابن عقيل -رحمه الله-: « وإنما أردت مثل هذا ليعلم أنه قد ارتفع القوم إلى التلاعب بالدين، فأي بقاء للشريعة مع هذا الحال »[2].

ولما فضَّل بعض الصوفية أوليائهم على أنبياء الله وادعى بعضهم أن له منزلة تعلو على منزلة نبينا محمد ﷺ، كما يقول الشبلي أنه يشفع بعد شفاعة محمد ﷺ أنكر ابن عقيل -رحمه الله- هذه الدعوى وزيَّفها،

---

(١) الدهقان: رئيس القرية، أو من له مال وعقار، أي تاجر، وجمعه دهاقين، ودهاقنة.
انظر: المعجم الوسيط (١/ ٣٠٠).

(٢) تلبيس إبليس ص(٣٨٦-٣٨٨).

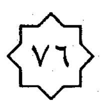
وكفر قائلها كائنًا من كان قائلاً: « والدعوى الأولى على النبي ﷺ كاذبة، فإن النبي ﷺ يرضى بتعذيب الفجار، كيف! وقد لعن في الخمر عشرة، فدعوى أنه لا يرضى بتعذيب الله ﷻ للفجار دعوى باطلة، وإقدام على جهل بحكم الشرع.

ودعواه أنه من أهل الشفاعة في الكل، فإنه يزيد على محمد ﷺ كفر؛ لأن الإنسان متى قطع لنفسه بأنه من أهل الجنة، كان من أهل النار، فكيف وهو يشهد لنفسه بأنه على مقام يزيد على مقام النبوة؛ بل يزيد على المقام المحمود وهو الشفاعة العظمى.

ثم أضاف قائلاً: « والذي يمكنني في حق أهل البدع لساني وقلبي ولو اتسعت قدرتي في السيف لرويت الثرى من دماء الخلق »[1].

وكفَّر ابن عقيل -رحمه الله- غلاة الصوفية عندما قلَّلوا من شأن الأنبياء ورفعوا من قدر أوليائهم؛ بل نجده يوجب عليهم السيف فهو يقول: « ومنهم من يجحد النبوة ويرى أن ما جاء به الأنبياء محال، وهؤلاء لما أرادوا أمراح أنفسهم في شهواتهم لم يجدوا شيئاً يحقنون به دماءهم ويستترون به وينالون فيه أعراض النفوس، كمذهب أهل

(١) تلبيس إبليس ص(٣٤٨).



التصوف، فدخلوا منه ظاهرًا وهم في الباطن كفرة وليس لهؤلاء إلا السيف لعنهم الله »[1].

وحذَّر -رحمه الله- من غلاة الصوفية الذين أحيوا الليالي في المساجد وعند قبور أوليائهم بالبدع والخرافات وتبرأ منهم قائلاً: « أنا أبرأ إلى الله تعالى من جموع أهل وقتنا في المساجد والمشاهد ليالي يسمونها إحياء، لعمري إنها لإحياء أهوائهم، وإيقاظ شهواتهم، جموع الرجال والنساء، مخارج الأموال فيها من أفسد المقاصد وهو الرياء والسمعة، وما في خلال كل واحد من اللعب والكذب والغفلة، ما كان أحوج الجوامع، أن تكون مظلمة من سرجهم، منزهة عن معاصيهم وفسقهم، مردان ونسوة وفساق الرجال عندي من وزن في نفسه ثمن الشمعة فأخرج به دهنًا وحطبًا إلى بيوت الفقراء، ووقف في زاوية بيته بعد إرضاء عائلته بالحقوق، فكتب في المتهجدين صلى ركعتين بحزن، ودعا لنفسه وأهله وجماعة المسلمين، وبكَّر إلى معاشه لا إلى المقابر، فترك المقابر في ذلك عبادة.

يا هذا، انظر إلى خروجك إلى المقابر: كم بينه وبين ما وُضِعَت

---

(١) تلبيس إبليس ص(٣٦٤).

له؟ فأشغلك بتلمح الوجوه الناضرة في تلك الجموع لزرع اللذة في قلبك والشهوة في نفسك، من مطالعة العظام الناضرة يستدعى بها ذكر الآخرة، كلاا ما خرجت إلا متنزهًا، ولا عدت إلا متأثمًا، ولا فرق عندك بين القبور والبساتين مع الفرجة لا أقل من أن تكون من المعاصي بين الجدران، فأما أن تجعل المقابر والمشاهد علة في الاشتهار فلا، فعلى من فطن لقولي في رجب وأمثاله ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾[1]، عز علي بقوم فاتتهم أيام المواسم التي يحظى فيها قوم بأنواع الأرباح، وليتهم خرجوا منها بالبطالة رأساً برأس، ما قنعوا حتى جعلوها من السَّنَة إلى السنة خلسًا لاستيفاء اللذات واستلام الشهوات المحظورات،ما بال الوجوه المصونة في جمادى هتكت في رجب بحجة الزيارات؟ ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾[2]، ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾[3].

أترى بماذا تتحدث عنك سواري المسجد في الظلم وأفنية القبور والقباب، بالبكاء من خوف الوعيد والتذكرة للآخرة؟ بنظر العبرة إذا تحدثت عن أقوام ختموا في بيوتهم الختمات وصانوا الأهل اتباعًا للنبي

---

(١) سورة التوبة، الآية (٣٦).

(٢) سورة المائدة، الآية (٥٠).

(٣) سورة نوح، آية (١٣).



ﷺ حيث انسل من فراش عائشة -رضي الله عنها- إلى المسجد لا جموع ولا شموع؟ طوبى لمن سمع هذا الحديث فانزوى إلى زاوية بيته فانتصب لقراءة جزء في ركعتين بتدبر وتفكر، فيا لها من لحظة ما أصفاها من أكدار المخالطات وأقذار الرياء، غدًا يرى أهل الجموع أن المساجد تلعنهم، والمشاهد والمقابر تستغيث منهم، يبكر أحدهم فيقول: أنا صائم، متى أفلح عرسك حتى يكون له صحة؟ قل لي يا من أحيا في الجامع: بأي قلب رجعت؟ مات والله قلبك، وغابت نفسك، ما أخوفني على من فعل هذا الفعل في هذه الليالي أن يخاف في مواطن الأمن ويظمأ في مقامات الري »[1].

وكفَّرهم -رحمه الله- على تعظيمهم لقبور أوليائهم قائلاً:

« لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام، عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، فقال! وهم عندي كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها بما نهى عنه الشرع، وإيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها، وخطاب الموتى بالحوائج، وكتب الرقاع فيها، يا مولاي كذا وكذا، وأخذ تربتها تبركًا، وإفاضة الطيب على القبور، وشدِّ الرحال

---

(١) الآداب الشرعية (٣/ ٣٨١-٣٨٢).

إليها، وإلقاء الخرق على الشجر اقتداءً بمن عبداللات والعزى »[1].

وشد الرحال لا يجوز شرعًا؛ إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى بنص الحديث النبوي الشريف الذي رواه أبوسعيد الخدري -رضي الله عنه- عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد الأقصى، ومسجدي هذا** »[2].

٦- دعوى ترك الزواج وجواز النظر إلى الأمرد عند الصوفية:

اعتبر الصوفية الزواج من الأمور التي تشغل المريد عن طاعة ربه، يقول الغزالي: « اعلم أن المريد في ابتداء أمره ينبغي ألا يشغل نفسه بالتزويج،

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٩٥)، والنبذة الشريفة النفيسة في الرد على القبوريين، حمد بن ناصر آل معمر، تحقيق عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم، ط١ (الرياض: دار العاصمة، ١٤٠٩هـ) ص(٥٥-٥٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب الصوم يوم النحر (٢/ ٢٥٠)، نسأل الله بمنه وكرمه أن يخلص المسجد الأقصى من دنس اليهود الغاصبين عليهم من الله ما يستحقون.

فإن ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك ويستجره إلى الأنس بالزوجة، ومن أنس بغير الله شغل عن الله ولا يغريه كثرة نكاح رسول الله ﷺ »[1].

ويقول أبو سليمان الداراني: « من تزوج امرأة فقد ركن إلى الدنيا »[2].

وقال إبراهيم بن أدهم: « من تعود أفخاذ النساء لا يفلح »[3].

هذه نظرة الصوفية للزواج، ولكننا نجدهم في المقابل وقعوا في حب النساء الأجنبيات، ومصاحبة المردان من الصبيان، والنظر إليهم نظر عشق بدعوى الاعتبار لزيادة الإيمان!!.

وقد ذكر الشعراني في طبقاته عن علي أبو خوذة « أنه إذا رأى امرأة أو أمردًا راوده عن نفسه وحسس على مقعدته »[4].

أيضًا قيام مصنفهم محمد بن طاهر المعروف بابن القيسراني بتصنيف رسالة في إباحة السماع والنظر إلى المرد[5].

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ١٠١).

(٢) الإحياء (٣/ ١٠١)، وقوت القلوب (١/ ٢٥٢)، وعوارف المعارف ص(١٥٢).

(٣) عوارف المعارف ص(١٥٣)، وقوت القلوب (٢/ ٢٧٨).

(٤) الطبقات الكبرى (٢/ ١٣٥).

(٥) انظر: الطبقات الكبرى (٢/ ١٢٩).

موقف ابن عقيل من دعوى ترك الزواج، وجواز النظر للأمرد عند الصوفية:

كما سبق وأن بينا كيف حث الصوفية على ترك الزواج بدعوى الشغل عن الطاعة؛ بل حذروا أتباعهم من الإقدام إليه، وأمام هذه الترهات؛ انتقدهم ابن عقيل -رحمه الله- وبين أنهم سلكوا مسلكًا شائنًا، حط من قدرهم، وهوى بهم إلى مهاوي الردى والرذيلة، وذلك عندما استحلوا النساء والمردان لتصنع الصورة واللباس فهو يقول: « والناس يقولون إذا أحب الله خراب بيت تاجر عاشر الصوفية، قال: وأنا أقول وخراب دينه؛ لأن الصوفية قد أجازوا لبس النساء الخرقة من الرجال والأجانب، فإذا حضروا السماع والطرب فربما جرى من خلال ذلك مغازلات واستخلاء بعض الأشخاص ببعض فصارت الدعوة عرسًا للشخصين فلا يخرج إلا وقد تعلق قلب شخص بشخص ومال طبع إلى طبع وتتغير المرأة على زوجها فإن طابت نفس الزوج سمي بالديوث[1]، وإن حبسها طلبت الفرقة إلى من تلبس منه

---

(١) الديوث: الديوث من الرجال: القوَّاد على أهله، والذي لا يغار على أهله ولا يخجل.

انظر: المعجم الوسيط (١/ ٣٠٦)، ومعجم لغة الفقهاء ص(١٨٩).

المرقعة والاختلاط بمن لا يضيق الخناق ولا يحجر على الطباع، ويقال: تابت فلانة وألبسها الشيخ الخرقة وقد صارت من بناته، ولم يقنعوا أن يقولوا هذا لعب وخطأ حتى قالوا هذا من مقامات الرجال وجرت على هذه السنون ويرد حكم الكتاب والسنة في القلوب »[1].

ولما ترك بعض الصوفية النكاح بدعوى الزهد، انتقدهم ابن عقيل بشدة في هذا الجانب متسائلاً: « ما أدري ما أقول في هؤلاء المتشدقين[2] في الشريعة بما لا يقتضيه شرع ولا عقل، يقبحون أكثر المباحات ويبجلون تاركها حتى تارك التأهل والنكاح، والعبرة في العقل والشرع إعطاء العقل حقه من التدبر والتفكر والاستدلال والنظر والوقار والتمسك والإعداد للعواقب، والاحتياط بطريقة هي العليا يخص بها الأعلى الأعز الأكرم »[3].

وكان ابن عقيل -رحمه الله- يسخر من زهدهم المزعوم بقوله:

---

(١) تلبيس إبليس ص(٣٧٦).

(٢) المتشدقين: تشدق: الشِّدْقُ: جانب الفم، ومعنى تشدّق: أي لوى شدقه بكلام يتفصح.

انظر: المعجم الوسيط (١/ ٤٧٦).

(٣) الآداب الشرعية (٣/ ٢٢٨).

« ما أعجب أموركم في التدين إما أهواء متبعة أو رهبانية مبتدعة، بين تجرير أذيال المرح في الصبا واللعب، وبين إهمال الحقوق وإطراح العيال واللحوق بزوايا المساجد، فهلاً عبدوا -أي الصوفية- على عقل وشرع »(1).

وفي المقابل نجد الصوفية ينظرون بلهف وعشق إلى النساء وإلى المردان من الصبيان، وقد تحدث ابن عقيل على سبيل الذم عن مصاحبة الصوفية للنساء والمردان قائلاً.

« واستحالوا النسوة والمردان بتصنع الصور واللباس، فما دخلوا بيتًا فيه نسوة إلا عن فساد قلوب النسوة على أزواجهن ».

ثم ذكر مصاحبتهم ومخالطتهم للنساء الأجنبيات وذلك عندما: « ينصبون لذلك حجة لباسهن الخرقة ويعتذرون لشيوخهم إذا خلا أحدهم بامرأة ويقولون: « هي بنته وقد لبست الخرقة ».

وعلى هذا « قد أجازوا لبس النساء الخرقة من الرجال الأجانب » ويذكر -رحمه الله- على سبيل الذم مجلسًا من مجالس هؤلاء المبتدعة، وحالهم فيه من النساء، وما يقع من المفاسد قائلاً: « إذا حضروا السماع

---

(1) تلبيس إبليس ص(152).



والطرب فربما جرى من خلال ذلك مغازلات واستخلاء بعض الأشخاص ببعض، فصارت الدعوة عرسًا للشخصين، فلا يخرج إلا وقد تعلق قلب شخص بشخص، ومال طبع إلى طبع، وتتغير المرأة على زوجها، فإن طابت نفس الزوج سمي بالديوث، وإن حبسها طلبت الفرقة إلى من تلبس منه الرقعة، والاختلاط بمن لا يضيق الخناق، ولا بحجر على الطباع ويقال: تابت فلانة، وألبسها الشيخ الخرقة وقد صارت من بناته »(1).

٧- التوكل عند الصوفية:

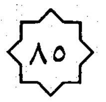
التوكل عند الصوفية له مفهومه الخاص الذي يصادم مفهومه الشرعي عند أهل السنة والجماعة؛ فهو عند القوم أن لا يكون للعبد أي نوع من التصرف بحيث يصبح كالآلة، ويقوم بالدرجة الأولى على نفي الأسباب وتركها.

يقول أبوسليمان الداراني « لو توكلنا على الله ما بنينا الحيطان ولا جعلنا لباب الدار غلقًا مخافة اللصوص »(2).

---

(١) تلبيس إبليس ص(٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٦).

(٢) حلية الأولياء (٩/ ٢٥٦).



ويقول سهل التستري: « أول مقام التوكل أن يكون العبد بين يدي الله ﷻ كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء لا يكون له حركة ولا تدبير »[1].

هذا هو مفهوم التوكل عند الصوفية باختصار ووضوح.

موقف ابن عقيل من التوكل عند الصوفية:

أمام هذا المفهوم الخاطئ والمصادم لأوامر الشريعة لعقيدة التوكل؛ وقف ابن عقيل -رحمه الله- كعادته في وجه هؤلاء المبتدعة وردَّ عليهم دعاويهم ومزاعمهم الباطلة موضحًا بجلاء أن فعل الأسباب لا ينافي التوكل، والتسبب لا يقدح في التوكل، بل أمرت الشريعة بفعل الأسباب فهو يقول:

« يظن أقوام أن الاحتياط والاحتراز ينافي التوكل، فإن التوكل هو إهمال العواقب وإطراح التحفظ، وذلك عند العلماء هو العجز والتفريط الذي يقتضي من العقلاء التوبيخ والتهجين، ولم يأمر الله بالتوكل إلا بعد التحرز واستفراغ الوسع في التحفظ فقال تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا

---

(١) الرسالة القشيرية ص(٢٣٨)، وعوارف المعارف ص(٢٥٠).



عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾[1].

فلو كان التعلق بالاحتياط قادحًا في التوكل؛ لما خص الله نبيه حين قال له: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾، ونص عليه وجعله عملاً في نفس الصلاة وهي أخص العبادات، فقال: ﴿ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ ﴾[2]...، ومن علم أن الاحتياط هكذا لا يقال إن التوكل عليه ترك ما علم. لكن التوكل التفويض فيما لا وسع فيه ولا طاقة؛ ولو كان التوكل ترك التحرز؛ لخص به خير الخلق ﷺ في خير الأحوال وهي حالة الصلاة...، فالتوكل لا يمنع من الاحتياط والاحتراز...، وقد جعل الله تعالى للطير والبهائم عدة وأسلحة تدفع عنها الشرور كالمخلب والظفر والناب، وخلق للآدمي عقلاً يقوده إلى حمل الأسلحة ويهديه إلى التحصين بالأبنية والدروع، ومن عطل نعمة الله بترك الاحتراز فقد عطل حكمته، كمن يترك الأغذية والأدوية ثم يموت جوعًا أو مرضًا، ولا أبله ممن يدعي العقل والعلم ويستسلم للبلادة إنما ينبغي أن تكون أعضاء المتوكل في الكسب وقلبه ساكن مفوض إلى الحق منع أو أعطي؛ لأنه لا يرى إلا أن الحق -تعالى- لا

(١) سورة آل عمران، من الآية (١٥٩).

(٢) سورة النساء، من الآية (١٠٢).



يتصرف إلا بحكمة ومصلحة.

فمنعه عطاء في المعنى، وكم زين للعجزة عجوزهم وسولت لهم أنفسهم أن التفريط توكل فصاروا في غرورهم بمثابة من اعتقد التهور شجاعة والخور حزمًا، ومتى وضعت أسباب فأهملت كان ذلك جهلاً بحكمة الواضع. مثل وضع الطعام سببًا للشبع، والماء للري والدواء للمرض؛ فإذا ترك الإنسان ذلك إهوانًا بالسبب ثم دعا وسأل فربما قيل له قد جعلنا لعافيتك سببًا فإذا لم تتناوله كان إهوانًا لعطائنا فربما لم نعافك بغير سبب لإهوانك للسبب، وما هذا إلا بمثابة من بين قراحه وماء الساقية رفسه بمسحاة، فأخذ يصلي صلاة الاستسقاء طلبًا للمطر، فإنه لا يستحسن منه ذلك شرعًا ولا عقلاً »[1].

وفي رده على الصوفية عندما تركوا فعل الأسباب أبان -رحمه الله- أن فعل الأسباب لا ينافي التوكل قائلاً: « التسبب لا يقدح في التوكل؛ لأن تعاطي رتبة ترقى على رتبة الأنبياء نقص في الدين، ولما قيل لموسى -عليه السلام-: ﴿ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾[2] خرج ولما جاع واحتاج إلى عفة نفسه أجر نفسه ثمان سنين، وقال الله تعالى: ﴿ فَٱمْشُوا۟ فِى

---

(١) تلبيس إبليس ص(٢٧٩، ٢٨٠).

(٢) سورة القصص، من الآية (٢٠).



مَنَاكِبِهَا ﴾[1]، وهـذا لأن الحركـة اسـتعمال بنعمـة الله وهـي القـوى، فاستعمل ما عندك ثم اطلب ما عنده.

وقد يطلب الإنسان من ربه وينسى ما لـه عنده مـن الـذخائر، فـإذا تأخر عنه ما يطلبه بسخط، فترى بعضهم يملك عقارًا وأثاثًا فإذا ضـاق بـه القوت واجتمع عليه دين فقيل لـه لـو بعـت عقـارك قـال كيـف أفـرط في عقاري وأسقط جاهي عند الناس، وإنما قعد أقوام عـن الكـسب اسـتثقالاً لـه، فكانوا بين أمرين قبيحين. إما تضييع العيال فتركوا الفرائض أو التـزين باسم أنه متوكل فيحن علـيهم المكتـسبون فـضيقوا عـلى عيـالهم لأجلهـم وأعطوهم. وهذه الرذيلة لم تدخل قط إلا على دنيء الـنفس الرذيلـة وغـلا فالرجل كل الرجل من لم يضيع جوهره الذي أودعـه الله إيثـارًا للكـسل أو لاسم يتزين به بين الجهال، فإن الله قد يحرم الإنسان المـال ويرزقـه جـوهرًا يتسبب به إلى تحصيل الدنيا بقبول الناس عليه »[2].

هذا هو موقف ابن عقيل الـرافض لـدعاوى الـصوفية الباطلـة ومفهومهم الخاص لعقيدة التوكل التي تقوم على نفي الأسـباب فهـذا تواكل لا توكل.

---

(١) سورة الملك، من الآية (١٥).

(٢) تلبيس إبليس ص(٢٨٥).

٨- المحبة عند الصوفية:

المحبة باب من أوسع أبواب الدعاوي عند الصوفية، يتكلمون فيه عن الخوف والرجاء، والجنة والنار، ويعبرون عنه «بالعشق الإلهي».

تقول رابعة العدوية الصوفية:

أحبك حبين حب الهوى وحب لأنك أهل لذاكا

وتقول عندما سئلت عن حقيقة إيمانها: «ما عبدته خوفًا من ناره ولا حبًا لجنته، فأكون كالأجير السوء، بل عبدته حبًا له وشوقًا له»[1].

وزعموا أن محبة الله هي العشق.

قال أبوالحسن النوري: «أنا أعشق الله وهو يعشقني قال: سمعت الله يقول: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[2]، وليس العشق بأكثر من المحبة»[3].

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ٣١٠)، قوت القلوب (٢/ ٦٦).

(٢) سورة المائدة، آية (٥٤).

(٣) اللمع للطوسي ص(٤٩٢).

قال ابن الجوزي عن قوله إن الله يعشق: وهذا جهل من ثلاثة أوجه:

أحدها: من حيث الاسم فإن العشق عند أهل اللغة لا يكون إلا لما ينكح.

والثاني: إن صفات الله ﷻ منقولة فهو يحب ولا يقال يعشق كما يقال يعلم ولا يقال يعرف.

والثالث: من أين له إن الله يحبه فهذه دعوى بلا دليل.

=

هذا هو باختصار مفهوم المحبة عند الصوفية قائم على العشق ومبطلاً عقيدة الخوف والرجاء عند أهل السنة والجماعة.

موقف ابن عقيل من المحبة عند الصوفية:

أنكر ابن عقيل -رحمه الله- على الصوفية اعتقادهم في محبة الله، القائم على العشق والشوق، حتى وصف أقوالهم ودعاويهم في هذه المسألة بالأوهام والهواجس التي تصادم الشرع، ووصفهم بالزنادقة قائلاً: «... وأنتم زنادقة في زي عباد، شرهين في زي زهاد مشبهة تعتقدون أن الله ﷻ يعشق ويهام فيه، ويؤلف ويؤنس، وبئس التوهم؛ لأن الله ﷻ خلق الذوات مشاكلة لأن أصولها مشاكلة فهي تتؤانس وتتألم بأصولها العنصرية وتراكيبها المثلية في الأشكال الحديثة، فمن هنا جاء التلاؤم والميل وعشق بعضهم بعضا، وعلى قدر التقارب في الصورة يتأكد الأنس، والواحد منا يأنس بالماء؛ لأن فيه ماء وهو بالنبات آنس لقربه من الحيوانية بالقوة النمائية وهو بالحيوان آنس لمشاركته في أخص النوع به أو أقربه إليه؛ فأين المشاركة للخالق

= تلبيس إبليس ص(١٧١).

والمخلوق حتى يحصل الميل إليه والعشق والشوق. وما الذي بين الطين والماء وبين خالق السماء من المناسبة؛ وإنما هؤلاء يصورون الباري -تعالى- صورة تثبت في القلوب. وما ذاك الله ﷻ؛ ذاك صنم شكله الطبع والشيطان وليس لله وصف تميل إليه الطباع ولا تشتاق إليه الأنفس، وإنما مباينه الإلهية للمحدث أوجبت في الأنفس هيبة وحشمة، فما يدعيه عشاق الصوفية لله في محبة الله؛ إنما هو وهم اعترض. وصورة شكلت في نفوس فحجبت عن عبادة القديم[1] فتجدد بتلك الصورة أنس فإذا غابت بحكم ما يقتضيه العقل أقلقهم الشوق إليها فنالهم من الوجد وتحرك الطبع والهيمان ما ينال الهائم في العشق؛ فنعوذ بالله من الهواجس الرديئة والعوارض الطبيعية التي يجب بحكم الشرع محوها عن القلوب كما يجب كسر الأصنام»[2].

---

(١) لا يصح إطلاق القديم على الله باعتبار أنه من أسمائه وهذه من الرواسب العالقة -والله أعلم- في ذهن ابن عقيل جراء تأثره بعلم الكلام فلعله معذور إن شاء الله تعالى على هذه الزلة؛ لا سيما وأنه تائب عن مذهبه الاعتزالي وذلك باعترافه المكتوب كما سبق وأن بينا ذلك في عقيدته، ويغني عن ذلك اسم «الأول» كما في الآية الكريمة ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ الآية سورة الحديد، آية رقم (٣).

(٢) تلبيس إبليس ص (٢٤٦-٢٤٧).

٩- السماع عند الصوفية:

يُعدُّ السماع من الظواهر التي تلفت النظر عند الصوفية؛ فقد شحنت مصنفات القوم بالحديث عنه وإباحته عندهم بدعاوى محدثة.

فقد عدَّ الصوفية مجالس السماع من مجالس نزول الرحمة، فاعتقدوا أنه من الدين، وهو عبادة من أجلِّ العبادات التي يتقربون بها عند الله.

فهذا الجنيد المسمى عندهم « سيد الطائفة » يقول: تنزل الرحمة على الفقراء -الصوفية- في ثلاث مواطن وعدّ منها السماع؛ لأن القوم -بزعمه- لا يسمعون إلا عن حق »[١].

والسماع عند الصوفية له متولدات وإفرازات منها الضرب والصعق والزعق واللطم والرقص والبكاء، وتمزيق الثياب والتواجد.

يقول القشيري: « السماع فيه نصيب لكل عضو، فما يقع في العين يبكي، وما يقع إلى اللسان يصيح، وما يقع إلى اليد تمزق وتلطم، وما يقع إلى الرجل يترقص »[٢].

كذلك احتج القشيري لهم على إباحة السماع بالقياس وذلك

---

(١) الرسالة القشيرية ص(٥٠٩)، واللمع ص(٣٤٣)، والإحياء (٢/ ٢٧٠).

(٢) الرسالة القشيرية ص(٥٢٥).

بقوله: « إن الطفل يسكن إلى الصوت الطيّب، والجمل يقاسي تعب السير، ومشقة الحمولة، فيهون عليه بالحداء »[1].

هذا هو مفهوم السماع الذي هو الغناء عند الصوفية!!.

موقف ابن عقيل من السماع عند الصوفية:

أمام ترهات وخزعبلات الصوفية؛ فيما يعرف عندهم بالسماع وما يفضي إليه من آثار سلبية مثل تمزيق الثياب والضرب واللطم والزعق؛ شدَّد ابن عقيل وطأته على هؤلاء المخرفين المخدوعين منكرًا عليهم أفعالهم وأقوالهم.

فقد ردَّ على مشايخهم الذين يتوجهون إلى الله بالأناشيد والغناء؛ وعدّ ذلك كفر وزندقة قائلاً:

« لا كرامة لهذا القائل؛ إنما تحدى القلوب بوعد الله في القرآن، ووعيده وسنة الرسول ﷺ؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾[2]، وما قال: إذا أنشدت عليه القصائد طربت،

---

(١) الرسالة القشيرية ص(٤٨٢، ٤٨٤).

والحداء: من الحدو: سوق الإبل، والغناء لها. انظر: مختار الصحاح ص(١٢٧).

(٢) سورة الأنفال، من الآية (٢).

قال: وما قلتم فهو كفر، وإنما خدعكم الشيطان؛ لأن من اعتقد الحرام أو المكروه قربة، كان لهذا الاعتقاد كافرًا، وأنتم زنادقة في زي عباد »[1].

وكفَّر -رحمه الله- المتصوفة الذين يعتقدون أن الدعاء وقت السماع مجاب لأن السماع قربة لله بزعمهم، كما قال بذلك الجنيد.

يقول ابن عقيل: « وقد سمعنا منهم أن الدعاء عند حدو الحادي وعند حضور المخدة مجاب وذلك أنهم يعتقدون أنه قربة يتقرب بها إلى الله تعالى، قال وهذا كفر، لأن من اعتقد الحرام أو المكروه قربة كان لهذا الاعتقاد كافرًا »[2].

وسخر -رحمه الله- من مشايخ الصوفية الذين يرقصون ويصعقون على أنغام الألحان والقضبان، وعدَّ ما يقومون به من تواجد وتخريق الثياب من الخطأ والحرام الذي نهت عنه الشريعة فهو يقول عندما سئل عن تواجدهم وتخريق ثيابهم:« خطأ وحرام وقد نهى رسول الله ﷺ عن إضاعة المال وعن شق الجيوب، فقال له قائل: فإنهم لا يعقلون ما يفعلون. قال إن حضروا هذه الأمكنة مع علمهم أن الطرب يغلب عليهم فيزيل عقولهم أثموا بما يدخل عليهم من التخريق

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/ ١٠، ٨٨)، (٢/ ٢٦٣).

(٢) تلبيس إبليس ص(٢٥٠).

وغيره مما يفسد ولا يسقط عنهم خطاب الشرع لأنهم مخاطبون قبل الحضور بتجنب هذه المواضع التي تقضي إلى ذلك كما هم منهيون عن شرب المسكر فإذا سكروا وجرى منهم إفساد الأموال لم يسقط الخطاب لسكرهم كذلك هذا الطرب الذي يسميه أهل التصوف وجدًا إن صدقوا فيه فسكر طبع وإن كذبوا فنبيذ ومع الصحو فلا سلامة فيه مع الحالين وتجنب مواضع الريب واجب »[1].

وأوجب عليهم -رحمه الله- التعزيز بقوله: « لما رأينا الشريعة تنهي عن تحريكات الطباع بالرعونات وكسرت الطبول والمعازف، ونهت عن الندب والنياحة والمدح وجر الخيلاء، علمنا أن الشرع يريد الوقار دون الخلاعة، فما بال التغبير والوجد، وتخريق الثياب والصعق، والتماوت من هؤلاء المتصوفة؟ وكل مهيج من هؤلاء الوعاظ المنشدين من غزل الأشعار، وذكر العشاق فهم كالمغني والنائح، فيجب تعزيرهم؛ لأنهم يهيجون الطباع، والعقل سلطان هذه الطباع، فإذا هيجها صار إهاجه للرعايا على السلطان...، فأين الطرب من الأدب، والله ما رقص قطُّ عاقلٌ، ولا تعرض للطرب فاضل، ولا أصغى إلى تلحين الشعر إلا بطر، أليس بيننا

---

(١) تلبيس إبليس ص(٢٦١).

القرآن؟... وقال أيضًا: هذه فتن ونحن دخلت على العقول من غلبات الطباع والأهواء، وهل يحكم على العقول حق قط؟ وهل رأيتم في السلف أو سمعتم رجلاً زعق أو خرق؟ بل سماع صوت وفهم واستجابة، فدل على أن ذلك التخبط ليس من قانون الشرع، لكن أمر بخفض الصوت وغضِّه وأما التواجد والحركة والتخريق فالأشبه بداعيه الحق الخمود، ثكلت نفسي حين أسمع القرآن ولا أخشع، وأسمع كلام الطرقيين فيظهر مني الانزعاج. هذا أول دليل على أن الطباع تورث ما تورث من التغييرات، وإن ذلك الكلام صدر عن طبع فأهاج طبعًا، وللحق ثِقلٌ، فلا يغرنكم تحرك الطباع بالأسجاع والألحان، فإنما هو كعمل الأوتار والأصوات. وهل نهت الشريعة عن سُكْر العُقار إلا لما يؤدي إليه من هذا الفساد؟ »[1].

كما أنكر ابن عقيل -رحمه الله- على الصوفية الرقص الذي يقومون به مستدلاً على ذلك ببعض آيات القرآن الكريم قائلاً:

« قد نص القرآن على النهي عن الرقص فقال ﷻ: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾[2].

(١) الآداب الشرعية (٢/ ٣٠٨).

(٢) سورة الإسراء، من الآية (٣٧) ولقمان آية (١٨).

وذم المختال فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1].

والرقص أشد المرح والبطر أولسنا الذين قسنا النبيذ على الخمر لاتفاقهما في الإطراب والسكر، فما بالنا لا نقيس القضيب وتلحين الشعر معه على الطنبور والمزمار والطبل لاجتماعهما في الإطراب، وهل شيء يزري بالعقل والوقار ويخرج عن سمت الحلم والأدب أقبح من ذي لحية يرقص؟ فكيف إذا كانت شيبة يرقص ويصفق على وقاع الألحان والقضبان خصوصًا إذا كانت أصوات نسوان ومردان وهل يحسن بمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط ثم هو إلى إحدى الدارين صائر أن يشمس[2] الرقص شمس البهائم، ويصفق تصفيق النسوة. والله لقد رأيت مشايخ في عصري ما بان لهم سن في تبسم فضلاً عن ضحك مع إدمان مخالطتي لهم، فالشيخ أبي القاسم بن زيدان، وعبدالملك بن بشران، وأبي طاهر بن العلاف، والجنيد، والدينوري »[3].

هذه هي مواقف ابن عقيل -رحمه الله- الرافضة لسلوكيات

---

(١) سورة لقمان، من الآية (١٨).

(٢) يشمس: يقال: شمست الدابة شموسًا، وشماسًا: جمحت ونفرت.

انظر: المعجم الوسيط (١/ ٤٩٣).

(٣) تلبيس إبليس ص(٢٥٩-٢٦٠).

المتصوفة في السماع المزعوم، ودعاويهم المضللة؛ اعتمد فيها على الكتاب والسنة، وأبان فيها الحق، وفنَّد الباطل.

١٠ - الرموز والغموض عند الصوفية.

تبنَّت الصوفية مصطلحات خاصة بها؛ يغلب عليها طابع الرمز والغمض والإشارات والألغاز غير المفهومة؛ لإيهام خصومهم -أهل السنة والجماعة- وأخذ كل واحد منهم يفسرها بما يحلو له.

يقول القشيري: « نعم ما فعل القوم من الرموز؛ فإنهم إنما فعلوا ذلك غيرة على طريقة أهل الله ﷻ أن تظهر لغيرهم »[١].

وقال بذلك الكلاباذي: « إن للقوم عبارات تفردوا بها واصطلاحات فيما بينهم لا يكاد يستعملها غيرهم »[٢].

هذا بإيجاز نوع أسلوب التخاطب فيما بينهم.

---

(١) اليواقيت والجواهر للشعراني (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - ١٣٧٨هـ) (١/ ١٩).

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف ص(١٣٠).

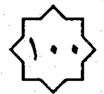
موقف ابن عقيل من الرموز والغموض عند الصوفية.

رغم ما يكتنف كلام الصوفية من غموض واستخدام الإشارات والرموز؛ إلا أن ذلك لم يكن بالأسلوب الخافي على علمائنا الأجلاء أمثال ابن عقيل؛ فقد كان مدركًا لخطورة ذلك المنهج على الدين وأهله، فقد وقف -كما هي عادته- سهمًا في حلوق هؤلاء المبتدعة كاشفًا عوارها على رؤوس الأشهاد، فقد أنكر ابن عقيل على الصوفية استخدامهم الرموز والغموض في مصطلحاتهم إيهاماً وتضليلاً على الناس فهو يقول: « هذه الطائفة الجامعة بين دهمشه في اللباس وطيبة في العيش وخداع بألفاظ معسولة ليست تحتها سوى إهمال التكاليف وهجران الشرع، ولذلك خفوا على القلوب، ولا دلالة على أنهم أرباب باطل أوضح من محبة الدنيا لهم كمحبتهم أرباب اللهو والمغنيات.

كما أنكر -رحمه الله- عليهم عباراتهم واصطلاحاتهم وما يكتنفها من غموض بقوله: « عبرت الصوفية عن الحرام بعبارات غيروا لها الأسماء مع حصول المعنى، فقالوا في الاجتماع على الطيب والغناء والحنكرة أوقات، وقالوا في المردان شب، وفي المعشوقة أخت، وفي المحبة مريدة، وفي الرقص والطرب وجد، وفي مناخ اللهو والبطالة رباط وهذا التغيير للأسماء لا يباح »[1].

---

(١) تلبيس إبليس ص(٣٤٩-٣٥٠).



الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد عشنا فيما سبق في رحاب عالم من أعلام أمتنا بذل جهده في وجه فرقة نذرت نفسها وسخرت طاقاتها لتشوية صورة الإسلام، وهكذا وقفنا على مواقف ابن عقيل -رحمه الله- من الصوفية؛ المنكرة لما هم عليه من بدع، وكيف أبطل كل دعاوى الصوفية وردَّها على أعقابها؛ من مصادر التلقي والاستدلال، وزعمهم إسقاط التكاليف الشرعية عن مشايخهم وغلوهم فيهم، وتفنيده لمفهومهم المضلل للتوكل القائم على نفي الأسباب وكذلك المحبة القائمة على العشق واتخاذهم الزوايا والأربطة مناخًا للبطالة والانعزال، كذلك قوة وطأته -رحمه الله- على البدع التي تصاحب السماع من صعق وزعق وتمزيق ثياب ولطم، وبيانه أن عباراتهم المزيفة التي كلها رموز وغموض أرادوا من خلالها هدم الشريعة وأركانها.

والخلاصة أن جميع هذه البدع الصوفية تهاوت وسقطت أمام ميزان الشريعة المطهرة الذي جعله ابن عقيل منهجًا له في الرد والإنكار على جهلة وغلاة الصوفية، فرحم الله ابن عقيل رحمة واسعة وجمعنا وإياه في جنات النعيم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فهـــرس الموضوعـــات

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة
موقف ابن عقيل من دعوى ترك الزواج وجواز النظر للأمرد عند الصوفية	٨٢
التوكل عند الصوفية	٨٥
موقف ابن عقيل على التوكل عند الصوفية	٨٦
المحبة عند الصوفية	٩٠
موقف ابن عقيل من المحبة عند الصوفية	٩١
السماع عند الصوفية	٩٣
موقف ابن عقيل من السماع عند الصوفية	٩٤
الرموز والغموض عند الصوفية	٩٩
موقف ابن عقيل من الرموز والغموض عند الصوفية	١٠٠
الخاتمة	١٠١
فهرس الموضوعات	١٠٣

